المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم

جامعة بيشة

كلية الآداب

مقرر: الثقافة الإسلامية ٤

قسم الدراسات الإسلامية

الفصل الثاني ١٤٤٠/١٤٤١هـ

الاستعمار

ومقدمة عن الغزو الفكري

الاستعمار

الاستعمار من أعظم ما بليت به الأمة الإسلامية عبر تاريخها الطويل، وهو الذي يرهب اليوم الشعوب المتحررة، ويراودها عن عقائدها وشرفها، وهو الذي يبسط يده بالأذى حينا، وبالرشوة حينا؛ ليقيم حاجزاً بين حاضر المسلمين وماضيهم، فإما عاشوا مرتدين أتباعاً لغيرهم، وإما فلا حق لهم في الحياة!.

وسنتعرف من خلال هذا الدرس على بعض الحقائق العلمية والتاريخية المتعلقة بالاستعمار في الوطن العربي والإسلامي، وهي حقائق يجب أن تبقى حاضرة في أذهاننا، وأن لا تغيب عن بالنا، وسنذكر على اختصار أصناف الناقمين على الإسلام وأمته، وكيف أنهم يبدلون أسلحتهم من وقت لأخر بما يحقق مصالحهم وأهدافهم.

وسنتناول الاستعمار من خلال العناصر الآتية:

١- تعريف الاستعمار.

٢- تاريخ الاستعمار.

٣- أهداف الاستعمار.

٤- الخطة البديلة عن الاستعمار العسكري.

(١) تعريف الاستعمار

الاستعمار لغةً:

طلب التعمير، والسعي لتحقيق العمران، قال تعالى: ﴿ هو الذي أنشأكم في الأرض واستعمركم فيها ﴾[هود: ٦١].

الاستعمار اصطلاحاً:

استيلاء دولة أو شعب على دولة أخرى وشعب آخر؛ لنهب ثرواته، وتسخير طاقات أفراده، والعمل على استثمار مرافقه المختلفة.

ولكن كما ترى لا تناسب بين تعريف الاستعمار في اللغة وبين تعريفه في الاصطلاح، وهذا ما جعل بعض الباحثين، يسميه احتلالا لا استعماراً؛ لأن الغرب لما دخل بلاد المسلمين استباحها، وما رأت منهم عمارا قط؛ بل رأت الخراب الفادح، والفقر المدقع، والذل الظاهر، والمرض القاهر.

(٢) تاريخ الاستعمار

بدأ الاستعمار الغربي للعالم مع بداية عصور النهضة في أوربا حيث استفاقت أوربا على وقع طبول الإصلاح الديني والسياسي في القرنين الخامس والسادس عشر.

ومنذ أفاقت أوربا بدأت تحركها للإطباق على العالم الإسلامي، فانتشرت المراكب الاستكشافية تجوب البحار بحثاً عن تحقيق أهداف الاستعمار المختلفة: الدينية، والسياسية، والاقتصادية.

وفي عام ١٤٩٩م توصل فاسكودي جاما إلى طريق رأس الرجاء الصالح، فوصل البرتغاليون إلى الشواطئ الهندية.

وشرع البرتغاليون يؤسسون مستعمرات ومراكز تجارية في أماكن مختلفة من السواحل التي وصلوا إليها، ولم يكد النصف الأول من القرن السادس عشر ينقضي حتى كان البرتغاليون قد أحكموا السيطرة على شواطئ شرق أفريقيا وغربها إضافة إلى شواطئ الخليج وفارس والهند.

وفي عام ١٦٠٠م أنشئت بريطانيا أول جهاز استعماري لها تحت مسمى:(شركة الهند الشرقية البريطانية)، ومثله صنعت فرنسا عام ١٦٦٤م فأنشئت ما أسمته:(شركة الهند الشرقية الفرنسية)، وبدأ الصراع والتنافس بين الدولتين، وانتهى بانتصار الإنجليز عام ١٧٧٥م – ١١٧١هـ وخروج فرنسا من الهند والصين.

وفي عام ١٧٩٨م (١٢١٣هـ) وصل نابليون يقود الحملة الفرنسية إلى مصر، ثم حاول السيطرة على بلاد الشام، فغادر وهو يحمل أدراج الخيبة لكثرة من قُتل من جنوده هناك، ثم ما لبث أن عاد إلى فرنسا ولحقته جيوشه عام ١٨٠١م.

وفي عام ١٨٢٧م أعلن الملك شارل العاشر اعتزام فرنسا إنشاء مستعمرة ذات شأن في شمال أفريقيا، وزحفت الجيوش الفرنسية لاحتلال الجزائر عام ١٨٣٠م، واستتب الوضع لهم عام ١٨٥٧م، وهو نفس العام الذي قضت فيه بريطانيا على الإمارة الإسلامية المنغولية في الهند، وقد ألحقت فرنسا الجزائر بها عام ١٨٨١م، وهي نفس السنة التي أعلنت فرنسا وضعها تونس تحت الحماية الفرنسية بموجب ميثاق باردو، ثم السنغال ومدغشقر عام ١٨٨٢م.

وفي عام ١٨٨٧م (١٢٩٥هـ) وقّع مؤتمر برلين لاقتسام مواقع النفوذ في الوطن العربي.

وتوالى بعد ذلك سقوط البلاد العربية والإسلامية في قبضة الاستعمار.

فسيطر الفرنسيون على المغرب سنة ١٩١٢م، وعلى سورية سنة ١٩٢٠م.

وأما الإيطاليون فاحتلوا الصومال وأريتريا عام ١٨٨٧م، وزحفت إيطاليا لاحتلال الساحل الليبي عام ١٩١٤م.

فيما احتلت انجلترا مصر ووضعتها تحت الحماية عام ١٨٨٢م، وكانت قد احتلت بلاد البنغال عام ١٧٥٧م، والبنجاب عام ١٨٤٩م، ثم احتلت نيجيريا عام ١٨٥١م.

وفي عام ١٨٩٨م احتلت بريطانيا السودان ثم العراق ١٩١٩م، ثم الأردن عام ١٩٢٠م.

وفي المشرق الإسلامي انقض الروس الأرثوذوكس على بلاد المسلمين فأخذوا ما يحاذيهم منها، وضموه إلى بلادهم، ففي ١٦٧٠م دخل الروس بلاد الأورال، وأحكموا السيطرة على مسلميها، وفي عام ١٨٥٩م ضمت روسيا طشقند، ثم القوقاز عام ١٨٦٤م، ثم بخارى عام ١٨٨٢م، فيما دخلت بلاد التركستان تحت سيطرة الروس عام ١٨٨٤م.

وقد استمرت السيطرة الروسية على بعض هذه البلاد إلى يومنا هذا فيما نجت بلاد أخرى، وشكلت حكومات مستقلة بعد سقوط الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩٠م.

فيما تحررت البلاد الإسلامية جملة من الاستعمار الفرنسي والإنجليزي والإيطالي (العسكري) في أواسط القرن العشرين.

(٣) أهداف الاستعمار

تعددت أهداف الاستعمار التي سعى لتحقيقها في بلدان العالم الإسلامي، ولعل من أبرزها:

١- الهدف الديني؛ ويكمن في هدم الإسلام هدماً كلياً وإضعاف وتفريق المسلمين.

٢- الهدف الاقتصادي؛ ويكمن في استغلال ثروات المسلمين من حيث التوسع في الأراضي الإسلامية للاستغلال أو الاستيطان، وحينما لا يرضى أصحاب الأرض الشرعيين فإن المستعمر يقوم بمصادرة الأرزاق وسلب الأرض.

٣- الهدف السياسي؛ ويكمن في الهيمنة والسيطرة على المسلمين وتسخيرهم في الأعمال الاستثمارية والحربية إذ يجندون الشعوب المغلوبة ويدفعون بها إلى معارك حربية ضد شعوب أخرى.

(٤) خطة أعداء الإسلام البديلة عن الاستعمار العسكري

لما فشلوا في القضاء على الإسلام بالأساليب المادية، ووجدوا أن الغزو العسكري لم يحقق أحلامهم بالصورة التي كانوا يرجونها؛ ووجدوا أن المواجهة المباشرة تمثل أحد أسباب صحوة الأمة من غفوتها وسعيها للعودة إلى مكانتها التي كان عليها أسلافها، أخذوا يبحثون عن أسلوب جديد من خلال سؤالهم المتكرر عن سر قوة المسلمين.

وكان أول من طرح هذا التساؤل هو هرقل قيصر الروم، الذي أذهلته الهزائم المتوالية لجيوشه على يد المسلمين، فأجابه قائد الجيوش قائلاً: "إنهم بشر ولكنهم ليسوا كالبشر، إنهم رهبان بالليل فرسان بالنهار، إنهم يصلون ويصومون ولا يشربون الخمر ولا يزنون، ولو سرق ابن ملكهم لقطعوا يده، وما من أحد إلا ويتمنى أن يموت قبل أخيه، فقال له هرقل: والله إن كانوا كما تقول ليملكُن موضع قدمي هاتين"، وقد تحقق ما توقعه بعد سنوات، حيث خرج من سوريا وهو يردد العبارة الشهيرة: "سلام عليك يا سوريا.. سلاماً لا لقاء بعده".

لقد جسدت كلمات هرقل وقائد جيوشه سر قوة المسلمين المتمثلة في إيمانهم بعقيدتهم وتطبيقهم لشريعتهم واتقاء ما حرم الله، فحينئذ لو اجتمعت كل قوى الشر ضدهم ما نالت منهم شيئاً.

وبعد ذلك كانت وصية القائد الفرنسي لويس التاسع (١٢١٤-١٢٧٠م) والتي رسم بها الطريقة الجديد لغزو المسلمين، ومن ثم تحقيق النصر عليهم والقضاء على دينهم، وذلك عن طريق ما يعرف اليوم بالغزو الفكري.

فقد جاء في وصيته: "إنه لا سبيل إلى السيطرة على المسلمين عن طريق الحرب أو القوة، ذلك لأن في دينهم عاملاً حاسماً، هو عامل المواجهة والمقاومة والجهاد وبذل النفس والدم الرخيص في سبيل حماية العرض والأرض، وإنه مع وجود هذا المعنى عند المسلمين، فمن المستحيل السيطرة عليهم؛ لأنهم قادرون دوماً على المقاومة ودحر الغزو الذي يقتحم بلادهم، وإنه لا بد من إيجاد سبيل آخر من شأنه أن يزيّف هذا المفهوم عند المسلمين، حتى يصبح مفهوماً أدبياً ووجدانياً، وإيجاد ما يبرره ... ويسقط خطورته واندفاعه، وإن ذلك لا يتم إلا بتركيز واسع على الفكر الإسلامي وتحويله عن منطلقاته وأهدافه، حتى يستسلم المسلمون أمام بقاء القوة الغربية، ويروضوا أنفسهم على تقبلها، على نحو من اتجاه الأهواء والصداقة والتعاون".

وقد وضع لويس التاسع خيوط المؤامرة الجديدة على الإسلام، والتي تقوم على الأسس الآتية:

١- تحويل الحملات الصليبية العسكرية إلى حملات صليبية سلمية، تستهدف ذات الغرض، ولا فرق بين الحملتين إلا في نوع السلاح الذي يستخدم في المعركة، وهو الدس بين العرب، وإثارة الخلافات في الأوساط الإسلامية، والعمل على أبقاء نارها مستعرة بين المسلمين؛ لينهار الإسلام من تلقاء نفسه.

٢- تجنيد المبشرين الغربيين في معركة سلمية لمحاربة تعاليم الإسلام ووقف انتشاره، ثم القضاء عليه معنوياً.

٣- استخدام نصارى الشرق في تنفيذ سياسة الغرب.

٤- إنشاء قاعدة للغرب في قلب الشرق الإسلامي، يتخذها الغرب نقطة ارتكاز لقواته الحربية ولدعوته السياسية والدينية.

وقد استجابت قوى الشر لذلك، فحولوا الغزو العسكري إلى غزو فكري ، ذلك أن الفكر لا يقاوم إلا بفكر مثله، ولا يمكن أن يقاوم بالسلاح، ولا تستطيع الجيوش الجرارة أن تجعل إنساناً واحداً يعدل عن فكرته بالقوة.

الغزو الفكري

سنتناول الاستعمار من خلال العناصر الآتية:

١- تعريف الغزو الفكري.

٢- سلاح الغزو الفكري.

٣- سمات الغزو الفكري.

٤- وسائل الغزو الفكري.

(١) تعريف الغزو الفكري

مصطلح الغزو الفكري من المصطلحات المعاصرة، وهو مركب من كلمتين: (غزو) و(فكري).

الغزو في اللغة:

القصد، والطلب، والإرادة.

يقال غزا الشيء غزوا: أراده وطلبه.

والغزو: السير إلى قتال العدو وانتهابه.

الفكر في اللغة:

إعمال العقل في المعلوم؛ للوصول إلى معرفة المجهول.

يقال: فكر في الأمر فكرا: أي أعمل العقل فيه، ورتب بعض ما يعلم؛ ليصل به إلى مجهول.

الغزو الفكري في الاصطلاح:

عنوان أطلق في الثلث الأخير من القرن الرابع عشر الهجري، الموافق للثلث الثالث من القرن العشرين الميلادي، على المخططات والأعمال الفكرية والتثقيفية والتدريبية والتربوية والتوجيهية وسائر وسائل التأثير النفسي والخلقي والتوجيه السلوكي الفردي والاجتماعي، التي تقوم بها المنظمات والمؤسسات الدولية والشعبية من أعداء الإسلام والمسلمين، بغية تحويل المسلمين عن دينهم تحويلاً كليًّا أو جزئيًّا، وتجزئتهم وتمزيق وحدتهم وتقطيع روابطهم الاجتماعية، وإضعاف قوتهم لاستعمارهم فكرياً ونفسياً، ثم استعمارهم سياسياً وعسكرياً واقتصادياً استعماراً مباشراً أو غير مباشر .

ويمكن تعريفه أيضاً، بأنه: "إغارة الأعداء على أمة من الأمم بأسلحة معينة، وأساليب مختلفة؛ لتدمير قواها الداخلية وعزائمها، ومقوماتها، وانتهاب ما تملك".

وعُرّف بأنه:" تغيير أحوال المسلمين السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، عن طريق استعمار القلوب والعقول وتبديل الأفكار والقيم والعقائد، فيصبح المغزو فكرياً خاضعاً بشكل تام لقادة الغزو وجنوده".

وعند تأمل هذه المصطلحات تجد تضمنها لمعاني متمايزة.

هذا، وقد ظهر في هذا العصر مصطلحات جديدة مشابهة لمصطلح الغزو الفكري، ولها نفس المقصد، ويراد منها ما يراد منه، إلا أنها قد تختلف أحياناً في الأساليب والمخططات والأزمان، ولكن الأهداف واحدة، ومن تلك المصطلحات: الحرب الباردة، والحرب النفسية، وغسيل المخ.

(٢) سلاح الغزو الفكري

يتضح مما سبق أن سلاحه: الفكرة، والكلمة، والرأي والحيلة، والنظريات والشبهات، وخلابة المنطق وبراعة العرض، وشدة الجدل ولدادة الخصومة، وتحريف الكلم عن مواضعه، وغير ذلك مما يقوم مقام السيف أو الصاروخ أو الدبابة.

(٣) سمات الغزو الفكري

يفوق الغزو الفكري الغزو العسكري بعشرات المراحل؛ ولعل من أبرز سماته ما يأتي:

١- الخداع.

فالعدو من خلال هذا الغزو لا يقف أمامك عياناً بياناً؛ بل هو متخف، يأتيك من وراء حجاب، ويدهمك بدون شعور منك.

فقد يأتيك في صورة مقال جذاب، أو كتاب بغلاف براق، أو برنامج إذاعياً ، أو فيلم أو مسلسل؛ بل قد يأتيك من خلال واحد من أبناء جلدتك ووطنك؛ بل ودينك أحياناً.

٢- الخطورة.

الغزو الفكري أخطر بكثير من الغزو العسكري؛ لأنه عميق التأثير على الشعوب المغزوة، إذ يمتد تأثيره عشرات؛ بل مئات السنين أحياناً.

والشعب الذي يحارب بالغزو الفكري يتصرف بمحض اقتناعه كما يريد الغازي بلا تعب ولا مجهود، فهو بمثابة القنبلة التلفزيونية التي يطلقها الجندي من مكانه، ويوجهها حيث شاء؛ فتصيب الهدف وهو جالس في مكانه.

٣- البساطة.

فالغزو الفكري سهل وبسيط وأقل تكلفة من الغزو العسكري الذي يكلف كثيراً من الدماء والطاقات.

(٤) وسائل الغزو الفكري

وسائل الغزو الفكري ومنافذه كثيرة، وسنتناول منها بالدراسة فيما نستقبل من محاضرات: **التنصير، والاستشراق، والعلمانية، والقومية، والماسونية، والصهيونية، والعولمة.**

التنصير

التنصير

تمهيد:

يعد التنصير من أخطر منافذ الغزو الفكري الموجه لبلاد المسلمين، وهو دعامة كبيرة من دعائم الاستعمار العسكري، وخطر حقيقي يهدد الإسلام والمسلمين منذ زمن بعيد، وهو اليوم أكثر خطورة وأكثر نشاطاً من أي وقت مضى، فقد وصل خليج العرب، واقترب من بلاد الحرمين، وله أهداف خطيرة، ويعتمد وسائل مؤثرة ومتجددة، وتنهض به دول الغرب جميعاً، ويتلقى دعماً مادياً غربياً يقدر بمليارات الدولارات ليواصل مسيرته، ويحقق أغراضه غير النزيهة.

وليس هدف دعاتها إقامة دين الله في أنحاء المعمورة، وإنما ليكون أداة لتحقيق مصالحهم، وظلاً يحتمون به حتى يتمكنوا من الزحف في الأرض بأسلحتهم المدمرة لكل من يقف في طريق سيطرتهم على العالم، فلم تعد النصرانية دعوة دينية منزهة عن المطامع والمصالح حيث اختلطت بها أطماع مادية وسياسية وثقافية متعددة.
ولا أدل على ذلك من قول زعيم المنصرين صموئيل زويمر في خطاب له في إحدى مؤتمرات التنصير: " إن مهمة التنصير ليست إدخال المسلمين في المسيحية فإن هذا هداية لهم وتكريم، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام، ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله ".

فأي نزاهة، وأي صدق، وأي محبة يحملها المنصرون للبشرية؟

وصدق الله عز وجل إذ يقول في كتابه الكريم: (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً)[البقرة:١٠٩].

وسنتناول التنصير من خلال العناصر الآتية:

١- تعريف التنصير والتبشير.

٢- تاريخ التنصير.

٣- العلاقة بين التنصير والاستعمار.

٤- أهداف التنصير.

٥- وسائل التنصير.

٦- إمكانيات التنصير.

٧- أشهر المنصرين في العصر الحديث.

٨- مؤتمرات التنصير.

٩- تقويم جهود المنصرين.

١٠- مواجهة حملات التنصير.

(١) تعريف التنصير

التنصير في اللغة:

هو الإدخال في دين النصارى، وفي القاموس المحيط:" تنصر دخل في دينهم، ونصره تنصيراً، جعله نصرانياً".

وفي الحديث: ((كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه)).

التنصير في الاصطلاح:

حركة دينية سياسية استعمارية غربية بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية، بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامة، والمسلمين بخاصة، بهدف إحكام السيطرة على تلك الشعوب.

التبشير في اللغة:

التبشير من البشرى والبشارة، مصدر لفعل: بشر، أبشر: أي أخبر، والبشارة المطلقة لا تكون إلا بالخير، وإنما تكون بالشر إذا كانت مقيدة به كقوله تعالى:(فبشرهم بعذاب أليم) [آل عمران:٢١].

فأصل التبشير في اللغة: الإخبار بما يفرح ويدخل السرور في القلب، لكن واقع حال المبشرين الصليبيين وأهدافهم من التبشير جعلت التبشير يحمل معنىً آخر غير معناه اللغوي الأصلي.

التبشير اصطلاحاً:

هو الدعوة إلى النصرانية، ومحاولة دفع الناس إلى الدخول فيها بشتى الوسائل المشروعة وغير المشروعة.

وبعبارة أخرى: هو قيام الغرب النصراني بدس أفراد، وتأسيس جمعيات يكون غرضها الدعوة إلى النصرانية بين المسلمين وغير المسلمين في سائر أنحاء العالم.

ومن المهم أن نعرف أن التبشير تعبير أطلقه رجال الكنيسة النصرانية على الأعمال التي يقومون بها لتنصير الشعوب وخاصة المسلمين، ثم تحول هدف التنصير داخل الشعوب المسلمة إلى غاية التكفير وإخراج المسلمين عن دينهم ولو إلى الإلحاد والكفر بكل دين.

ولهذا فإن كثيراً من الباحثين والمحققين يرى أن الأولى أن تسمى هذه الحركة بالتنصير؛ لأنها لا تسعى للتنصير فحسب؛ بل تريد أن ينسلخ المسلمون عن الإسلام حتى يصبحوا بلا دين ولا قيم ولا أخلاق ولا صلة لهم بالله، كما صرحوا بذلك وأعلنوا دون تستر أو إسرار.

وهم إنما استعملوا كلمة التبشير بدلاً عن كلمة التنصير؛ لأنها تحمل معنى جميلاً محبباً للنفس، بهدف أن يتقبل

الناس هذا العمل الجديد عليهم؛ وذلك من باب التعمية والخداع لمن لا يعرف حقيقة التبشير.
مع ملاحظة أن من الكتاب من يستعمل هذا اللفظ (التبشير) من باب مجاراة النصارى؛ حيث أطلقوه على عملهم في تدمير الإسلام وغيره، ولكنه خلاف الأولى.

(٢) تاريخ التنصير

بدأت الحركة التنصيرية بالظهور إثر الانهزامات التي مني بها الصليبيون طوال قرنين من الزمن –القرن الحادي عشر والثاني عشر للميلاد– وكانوا إذ ذاك يعملون على الاستيلاء على بيت المقدس ونزعه من المسلمين ولكنهم لم يفلحوا أمام صلابة المسلمين، وثمة شخصيات مهمة ذات جهود كبرى في حركة التنصير، **ولهم بصماتهم الواضحة على هذا التاريخ، ولعل من أبرزهم:**

١– لويس التاسع ملك فرنسا (Louis IX) (١٢١٤–١٢٧٠م)

فهو أول من حدد مهمة المنصِّر عندما وقع في الأسر وسجن في المنصورة في آخر الحملات الصليبية.
وكان من أفكاره المهمة: تحويل الحملات الصليبية العسكرية إلى حملات سلمية تستهدف الغرض نفسه، ولا فرق بين الحملتين إلا من حيث نوع السلاح، فسلاح التنصير: إعداد جند من المنصرين لمحاربة الإسلام ووقف انتشاره والقضاء عليه معنوياً، واعتبر هؤلاء المنصرين في معاركهم هذه جنوداً رسميين للغرب الصليبي المستعمر، وأشار على البابا أنوسنت الرابع بإنشاء أول جمعية للتبشير سنة ١٢٥٣م.
وبعد ذلك بدأ التنصير ينمو ويتسارع وينتشر حتى عم العالم الإسلامي كله.

٢–روجر بيكون (١٢١٤ –١٢٩٤م).

الذي دعا إلى ضرورة تعليم اللغة العربية من أجل تنصير المسلمين وقد تتلمذ على يد مفكري الإسلام، ونقل كثيراً من كتب التراث الإسلامي التي كان لها أبعد الأثر في نهضة أوروبا.

٣– ريموند لول (١٢٣٥ –١٣١٦).

أول نصراني تولى التنصير بعد فشل الحروب الصليبية، فتعلم العربية بكل مشقة، وأخذ يجول في بعض بلاد المسلمين يناقش العلماء.

٤– صموئيل زويمر zwemer (١٨٦٧–١٩٥٢م).

رئيس جمعيات التنصير في الشرق الأوسط، كان يتولى إدارة مجلة العالم الإسلامي الإنجليزية التي أنشأها عام ١٩١١م، ولا تزال تصدر إلى الآن من هارتيفورد.

ويعد زويمر من أكبر أعمدة التنصير في العصر الحديث وقد أُسس معهداً باسمه في أمريكا لأبحاث تنصير المسلمين.

الجمعيات التنصيرية:

١- في سنة ١٨١٠م أنشئ المجلس الأمريكي للتبشير، وقد أرسل أول بعثاته إلى مالطة، وأسس أول مطبعة تبشيرية عام ١٨١٥م ثم اتجهوا إلى القدس وبيروت وأنشأوا بها مطبعة أخرى عام ١٨٣٤م قامت بطبع الكتاب المقدس ونشره في أنحاء العالم الإسلامي، ثم أنشأت البعثة الأمريكية أخطر مراكز التبشير في العالم الإسلامي على الإطلاق وهي (الكلية السورية الإنجيلية) والتي عرفت فيما بعد باسم الجامعة الأمريكية.

٢- وفي سنة ١٨١٩م اتفقت جمعية الكنيسة البروتستانتية مع النصارى في مصر، وكونت هناك إرسالية عهد إليها نشر الإنجيل في أفريقيا.

وقد استمرت حركة التبشير بعد ذلك إلى أوائل القرن العشرين؛ حيث تفرع منها أسلوب آخر وهو الاستشراق بعد أن انكشفت وفشلت في تحقيق كثير من أهدافها.

وهكذا أخذ التبشير ينتشر حتى عم أغلب بلدان العالم الإسلامي، وصار مصدر خطر حضاري على قيم أمتنا، وأصالتها، وتراثها.

(٣) العلاقة بين التنصير والاستعمار

الصلة بينهما وثيقة حتى لكأن أحدهما ظل للآخر، وقد كشف عن هذه الصلة الوثائق الصادرة عن المستعمرين والمنصرين أنفسهم، ومن ذلك ما قاله المنصر الأمريكي جاك مندلسون: "لقد تمت محاولة نشيطة لاستعمال المبشرين لا لمصلحة المسيحية وإنما لخدمة الاستعمار والعبودية"

وكذا ما قاله نابليون الأول في جلسة مجلس الدول عام ١٨٠٤ م: "إن في نيتي إنشاء مؤسسة الإرساليات الأجنبية، فهؤلاء الرجال المتدينون سيكونون عونا كبيرا لي في آسيا وأفريقيا وأمريكا، وسأرسلهم لجمع المعلومات عن الأقطار ، إن ملابسهم تحميهم وتخفي أية نوايا اقتصادية أو سياسية".

ومما يدل دلالة قوية على الارتباط الوثيق بين التنصير والاستعمار هو ما نجده من اختلاف بين تعاليم الكنيسة في الغرب وبين تعاليمها الموجهة للدول النامية حتى لا تتطور ، فإذا كانت الكنيسة في الغرب تقوم على مبدأ فصل الدين عن الدولة، فإنها لا تقر بذلك بالنسبة لبلاد الشرق؛ ليظل كلام الكنيسة سيف مسلط على الرقاب.

ولقد اجتهد النصارى في فرض نصرانيتهم بالقوة في العالم الإسلامي تحت مظلة الاستعمار حينا، وتحت مظلة الضغوط الاقتصادية والسياسية حينا آخر يقول القس بيرس بيفر: "في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كانت الحضارة الأوربية والسيطرة السياسية والقوة العسكرية تجتاح العالم، وكانت النصرانية تتسنم غارب هذا المد ، وأصبحت الطريق ممهدة أمام المبشرين، فانتشرت النصرانية مع اتساع السيطرة الأوربية في العالم، ولقد قام الاستعمار والسيطرة العسكرية بدورهما في نشر النصرانية".

(٤) أهداف التنصير في العالم الإسلامي

أهداف التنصير التي يعمل لتحقيقها في العالم الإسلامي كثيرة وخطيرة، وقد أبانوا عنها بألسنتهم، وهي في مجملها تتناسب مع الهدف الاستراتيجي العام للتنصير، وهو القضاء على الإسلام، ولعل من أبرز الأهداف التي يخطط لها، ويسعى لتحقيقها ما يأتي:

أولا: القضاء على القرآن الكريم:

لأن القرآن هو المصدر الأساسي لقوة المسلمين، وبقاؤه بين أيديهم حياً يؤدي إلى عودتهم إلى قوتهم وحضارتهم.

يقول المبشر جون تاكلي: "يجب أن نستخدم القرآن، وهو أمضى سلاح في الإسلام، ضد الإسلام نفسه، حتى نقضى عليه تماماً، يجب أن نبين للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديد فيه ليس صحيحاً".

ويقول غلادستون—رئيس وزراء بريطانيا-: "ما دام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين، فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان".

ويقول المبشر وليم جيفورد بالكراف:"متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيداً عن محمد وكتابه".

ويقول الحاكم الفرنسي في الجزائر بمناسبة مرور مائة عام على احتلالها: "يجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم .. ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم، حتى ننتصر عليهم".

(يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) [الصف:٨].

ثانياً: تدمير الأخلاق والقيم في المجتمع المسلم.

يقول مرماديوك باكتول:"إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم في العالم الآن بنفس السرعة التي نشروها بها سابقاً، بشرط أن يرجعوا إلى الأخلاق التي كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول؛ لأن هذا العالم الخاوي لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم".

ويقول القس صموئيل زويمر رئيس جمعيات التبشير في مؤتمر القدس للمبشرين المنعقد عام ١٩٣٥م:"إن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست في إدخال المسلمين في المسيحية، فإن في هذا هداية لهم وتكريماً، إن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، ولذلك تكونون بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية، لقد هيأتم جميع العقول في الممالك الإسلامية لقبول السير في الطريق الذي سعيتم له، ألا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، أخرجتم المسلم من الإسلام، ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي مطابقاً لما أراده له الاستعمار، لا يهتم بعظائم الأمور، ويحب الراحة، والكسل، ويسعى للحصول على الشهوات بأي أسلوب، حتى أصبحت الشهوات هدفه في الحياة، فهو إن تعلم فللحصول على الشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات .. إنه يجود بكل شيء للوصول إلى الشهوات، أيها المبشرون: إن مهمتكم تتم على أكمل الوجوه".

ويقول زويمر أيضاً: "إن للتبشير بالنسبة للحضارة الغربية مزيتان، مزية هدم، ومزية بناء، أما الهدم فنعني به انتزاع المسلم من دينه، ولو بدفعه إلى الإلحاد .. وأما البناء فنعني به تنصير المسلم إن أمكن ليقف مع الحضارة الغربية ضد قومه".

وما ذكر زويمر منذ ما يزيد على نصف قرن يحكي واقع كثير من شباب اليوم، ويصفه وصفاً دقيقاً.. فمتى يعي شباب المسلمون واقعهم؟ ومتى يستيقظ الغافلون؟

ثالثاً: القضاء على وحدة المسلمين.

يقول القس سيمون:"إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية، وتساعد على التملص من السيطرة الأوربية، والتبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة، من أجل ذلك يجب أن نحوّل بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية".

ويقول المبشر لورنس براون: "إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية، أمكن أن يصبحوا لعنةً على العالم وخطراً، أو أمكن أن يصبحوا أيضاً نعمة له، أما إذا بقوا متفرقين، فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير".

ويكمل حديثه:"يجب أن يبقى العرب والمسلمون متفرقين، ليبقوا بلا قوة ولا تأثير".

ويقول أرنولد توينبي في كتابه (الإسلام والغرب والمستقبل): "إن الوحدة الإسلامية نائمة، لكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ".

رابعاً: إضعاف العرب.

يعتقد الغربيون أن العرب هم مفتاح الأمة الإسلامية، وإضعافهم إضعاف لهذه الأمة؛ ولذلك لابد أن تبذل الجهود لئلا يصير العرب أقوياء.

يقول ميرو بيرجر في كتابه (العالم العربي):"لقد ثبت تاريخياً أن قوة العرب تعني قوة الإسلام؛ فليدمر العرب ليدمروا بتدميرهم الإسلام".

خامساً: إبعاد المسلمين عن القوة الصناعية.

يقول أحد المسؤولين في وزارة الخارجية الفرنسية عام١٩٥٢م: "إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديداً مباشراً عنيفاً هو الخطر الإسلامي... فلنعطي هذا العالم ما يشاء، ولنقوّي في نفسه عدم الرغبة في الإنتاج الصناعي والفني، فإذا عجزنا عن تحقيق هذه الخطة، وتحرر العملاق من عقدة عجزه الفني والصناعي، أصبح خطر العالم العربي وما وراءه من الطاقات الإسلامية الضخمة، خطراً داهماً ينتهي به الغرب، وينتهي معه دوره القيادي في العالم".

(٥) وسائل التنصير

اعتمد المبشرون في تحقيق أغراضهم على وسائل متنوعة ومدروسة، وذات أثر أكيد على المدى البعيد، وتناسب العصر الذي يتخذونها فيها، وسنقف على الكثير من أقوالهم وتصريحاتهم التي تكشف خبث مقاصدهم، وسوء نواياهم، ولعل من أهم هذه الوسائل ما يأتي:

١- التطبيب.

يقدم المنصرون الخدمات الطبية وخصوصا في الأوساط الفقيرة والمتخلفة؛ ليستغلوا ذلك في مهمتهم التنصيرية في أشد أوقات الحرج عند المسلمين، وإليك طائفة من تصريحاتهم:

تقول إحدى منظمات الأطباء التنصيرية: "حيث تجد بشرا تجد ألاما، وحيث تكون الآلام تكون الحاجة إلى الطبيب، وحيث تكون الحاجة إلى الطبيب، فهنالك فرصة مناسبة للتبشير".

وكتب المبشر موريسون في مجلة العالم الإسلامي التبشيرية يقول: "نحن متفقون بلا ريب على أن الغاية الأساسية من أعمال التنصير بين المرضى في المستشفيات: أن تأتي بهم إلى المعرفة المنقذة، معرفة ربنا يسوع المسيح، وأن ندخلهم أعضاء عاملين في الكنيسة المسيحية الحية".

٢- التعليم.

يضع التنصير كل ثقله لاستغلال التعليم وتوجيهه بما يخدم أهدافهم؛ ولذلك فهم ينشئون المدارس والمعاهد ورياض الأطفال؛ ليتسلموا فيها أبناء المسلمين ويربونهم التربية التي يريدونها.

يقول زويمر –رئيس الجمعيات التبشيرية–: " إن أهم الأساليب إلى تدمير أخلاق المسلم وشخصيته يمكن أن يتم بنشر التعليم العلماني".

ولذلك انتشرت مئات المدارس التبشيرية في أنحاء العالم العربي والإسلامي؛ لتحقيق هذا الغرض الخطير، وتوجد الآن عشرات المدارس التبشيرية في الأردن ولبنان ومصر وسوريا وغيرها.

وانتشرت الجامعات التي يديرها منصرون في العالم الإسلامي، كالجامعات الأمريكية في القاهرة.

والجامعة الأمريكية في بيروت، وقد أنشئت عام ١٨٠٩م، وقد تخرج منها كثير ممن يقودون الحركة الفكرية والثقافية في العالم العربي؛ بل وبعض وزراء المعارف والتعليم العالي في بلادنا العربية والإسلامية.

والجامعة الأمريكية في اسطنبول، والتي يقول عنها دانيال بلس: "إنها كلية مسيحية غير مستترة لا في تعليمها، ولا في الجو الذي تهيؤه لطلابها؛ لأن الذي أسسها مبشر، ولا تزال إلى اليوم، ولا يتولى رئاستها إلا مبشر!".

ومن الوسيلتين الأولى والثانية نجد أن المنصرين يعمدون إلى "استغلال الكوارث الطبيعية والحروب الأهلية: وما ينتج عنها من دمار وخراب وأوضاع مأساوية...، فضلاً عن أوضاع المسلمين المأساوية في بعض البلاد الإسلامية الفقيرة، وما يحتاجون إليه من طعام وكسوة ومسكن بالإضافة إلى التعليم والعلاج مما يجعلهم فريسة سائغة لاستغلال المنصرين الذين يتظاهرون بمواساتهم مادياً ومعنوياً، ويدّعون الاهتمام بهم صحياً وتعليمياً، وصولاً إلى اكتساب قلوب هؤلاء المسلمين البسطاء، ومن ثم السيطرة على عقولهم وإقناعهم بأن في النصرانية خلاصهم من عذاب الآخرة وفقر الدنيا، ويشترط هؤلاء المنصرين على أولئك المسلمين الذهاب إلى الكنيسة لأداء قداس الأحد مثلاً، أو يشترطون عليهم عدم المشاركة في الأنشطة الإسلامية نظير خدماتهم تلك".

٣- الأعمال الاجتماعية.

كإيجاد بيوت الطلبة المختلطة، والأندية الرياضية، والثقافية، ودور الأيتام، والمكتبات العامة، والمراكز الثقافية، والمخيمات الكشفية، وزيارة المرضى في المستشفيات وتقديم الهدايا والخدمات لهم، وغير ذلك من مجمعات يقطفون من ورائها أكبر الثمرات والنتائج.

٤- تشجيع تحديد النسل بين المسلمين.

وفي المقابل تشجيع النصارى على التكاثر، ويدل على ذلك المؤتمر الذي عقده البابا شنوده مع القساوسة والأثرياء من نصارى مصر في الكنيسة المرقسية بالإسكندرية عام ١٩٧١م وكان من مقرراته: "تحريم تحديد النسل أو تنظيمه بين شعب الكنيسة، وتشجيع الإكثار منه بوضع الحوافز والمساعدات المادية والمعنوية، مع تحديد النسل بين المسلمين".

٥- إثارة الفتن وإشعال الحروب.

إننا عند الدراسة المتأنية لواقع أمتنا الإسلامية نجد أن معظم الخلافات والمنازعات بين شعوبها وحكوماتها ما هو إلا من مخلفات الاستعمار وآثاره، ولا يشك عاقل في أيدي اليهودية العالمية، والصليبية الدولية التي تحرك جميع ذلك في الخفاء.

٦- استخدام التكنولوجيا الحديثة في التنصير.

كاستخدام البريد الالكتروني، وشبكة الانترنت، وقد زودت شركة مايكروسوفت لبرامج الكمبيوترات العالمية المؤسسات التنصيرية ببرامج مجانية بقيمة خمسة ملايين دولار خلال عام ١٩٩٣م.

ولا يزال المنصرين يطرقون كل وسيلة تساعدهم على نشر النصرانية، أو تشكيك وخلخلة المسلمين في دينهم.

فمن طرقهم نشر الإنجيل باللغة العربية في عدد من الدول الإفريقية وقد كُتب بطريقة تشبه القرآن الكريم، ويحوي على زخارف، ويبدأ فيه كل فصل ببسم الله الرحمن الرحيم، مع تشكيل كلماته، واختيارهم لكلمات من القرآن في ترجمة الإنجيل.

ومن طرقهم أيضا قراءة الإنجيل بطريقة تشبه تلاوة القرآن، وإقامة القداس الأسبوعي يوم الجمعة بدلا من يوم الأحد، بطريقة تشبه صلاة المسلمين في حركاتهم، وتزيي المنصرين بأزياء الدعاة والمشايخ، وبناء الكنائس الجديدة بتصاميم تشبه المساجد فتقام لها قباب ومآذن، والموافقة على بعض الأحكام والشعائر التي من العسير أن يتركها من يدعونهم إلى النصرانية كالتعدد والختان.

ولابد من الإشارة إلى أن مما يساعد على نجاح هذه الوسائل والأساليب قيامها على دراسات منظمة وتحديث هذه الوسائل والأساليب وتطويرها، إلى جانب قلة الثقافة والوعي عند المسلمين بما يدور حولهم من خطط تنصيرية وعمل دؤوب لصرف المسلمين عن دينهم، ولتساهل أصحاب الحل والعقد في قبول المؤسسات التنصيرية واستقبال المنصرين في بلاد المسلمين أثر في نجاح التنصير، ولا ننسى عامل الفقر المدقع في بعض الدول الإسلامية والتي يجد فيها المنصرون التربة الخصبة لنشر النصرانية فيها بوسائلهم الإغاثية كما يحدث في بعض دول القارة الإفريقية.

(٦) إمكانيات التنصير العالمية

إنها إمكانيات هائلة للغاية، ونترك الحديث للغة الأرقام التي يفهمها الجميع، وهي حصيلة واقع مشهود يبين حجم الإمكانيات والنشاط التنصيري في العالم.

بلغت ميزانية التنصير في العالم كانت عام ١٤١١هـ- ١٩٩٠م حوالي ١٦٤ مليار دولار أمريكي سنويًا، قفزت عام ١٤١٣هـ-١٩٩٢م إلى ١٨١ مليار دولار أمريكي.

وفي نشرة وزَّعتها الندوة العالمية للشباب الإسلامي جاء فيها أن عدد النصارى في العالم يبلغ مليارًا وسبع مئة وواحدًا وعشرين مليون (١,٧٢١,٠٠٠,٠٠٠) نسمة.

عدد المنظمات التنصيرية في العالم (٢٤,٥٨٠).

عدد المنظمات العاملة في مجالات الخدمة يزيد عن (٢٠,٧٠٠).

عدد المنظمات التي تبعث منصرين متخصصين في مجالات التنصير والإغاثة (٣,٨٨٠).

عدد المعاهد التنصيرية يزيد على (٩٨,٧٢٠).

عدد المنصرين المتفرغين للعمل خارج إطار المجتمع النصراني أكثر من (٢٧٣,٧٧٠) منصرًا.

عدد الكتب المؤلفة لأغراض التنصير يزيد عن (٢٢,١٠٠) كتاب في لغات ولهجات متعددة.

عدد النشرات والمجلات الدورية المنتظمة (٢,٢٧٠) نشرة ومجلة، توزَّع منها ملايين النسخ بلغات مختلفة.

عدد محطات الإذاعات التنصيرية يزيد على (١,٩٠٠) إذاعة، تبث إلى أكثر من مئة (١٠٠) دولة وبلغاتها.

مجموع التبرعات التي حصل عليها المنصرون لعام واحد حوالي مئة وواحد وخمسين مليار (١٥١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) دولار أمريكي.

ولعل من آخر الإحصائيات المنشورة باللغة العربية ما جاء في كتاب الدكتور/ عبد الرحمن بن حمود السميط لمحات عن التنصير في أفريقيا المطبوع في حدود سنة ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، حيث يذكر فيه إحصائيات منقولة عن النشرة الدولية لبحوث التنصير.

فبعد ذكر البيانات العامة حول السكان وأديانهم وطوائفهم يذكر أن عدد المنصِّرين الأجانب سنة ١٤١٩/١٤٢٠هـ الموافق ١٩٩٩م بلغ (٤١٥,٠٠٠) منصِّر، وبلغ عدد المنصِّرين المحليين (٤,٩١٠,٠٠٠) منصِّر، وهذا يعني أن مجمل عدد المنصِّرين فاق الخمسة ملايين وثلث مليون (٥,٣٢٠,٠٠٠) منصِّر.

بلغ مجموع التبرعات لأعمال التنصير لسنة واحدة (١,٤٨٩,٠٠٠,٠٠٠) مليار وأربع مئة وتسعة وثمانين مليون دولار.

بلغت عناوين الكتب التنصيرية (٢٤,٨٠٠) أربعة وعشرين ألفًا وثمان مئة عنوان، وعدد المجلات بلغ (٣٣,٧٠٠) ثلاثة وثلاثين ألفًا وسبع مئة مجلة، وطبع من الأناجيل (٢,١٤٩,٣٤١,٠٠٠) ملياران ومئة وتسعة وأربعون مليونًا وثلاث مئة وواحد وأربعون ألف نسخة.

وصل عدد محطات الإذاعة والتلفزيون (٣,٧٧٠) ثلاثة آلاف وسبع مئة وسبعين محطة.

بلغ عدد خطط التنصير في العالم (١٣٤٠) ألفًا وثلاث مئة وأربعين خطة.

كما يبين المؤلف إحصائيات لعام ١٤١٧- ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م حول دخل الكنيسة، وعدد أجهزة الحاسب الآلي، وعناوين الكتب، والأناجيل التي تم طبعها، ومحطات الإذاعة والتلفزيون، وأعداد المستمعين والمشاهدين،

حيث بلغ (١,٨٩٦,١٧٦,٠٠٠) مليارًا وثماني مئة وستة وتسعين مليونًا ومائة وستة وسبعين ألف مستمع ومشاهد.

وبلغ عدد الجمعيات التنصيرية (٢٣,٤٠٠) ثلاثة وعشرين ألفًا وأربع مئة جمعية، وبلغ عدد الجمعيات التي ترسل منصِّرين للخارج (٤,٦٠٠) أربعة آلاف وست مئة جمعية.

مما يجدر معه العودة إلى هذه البيانات، والوصول إليها عن طريق موقع النشرة الدولية لبحوث التنصير في الإنترنت.

هذا مكرهم وتلك إمكانياتهم، ولكن الله يطمئننا بقوله: ((إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون، والذين كفروا إلى جهنم يحشرون)) [الأنفال:٣٦].

(٧) أشهر المنصرين في العصر الحديث وقاصها

١- صموئيل زويمر Zweimer.

رئيس جمعيات التنصير في الشرق الأوسط، كان يتولى إدارة مجلة العالم الإسلامي الإنجليزية التي أنشأها سنة ١٩١١م وما تزال تصدر إلى الآن من هارتيفورد. **ويعد زويمر من أكبر أعمدة التنصير في العصر الحديث، وقد أُسس معهداً باسمه في أمريكا لأبحاث تنصير المسلمين.**

٢- كنيث كراج K.Cragg.

خلف صموئيل زويمر على رئاسة مجلة العالم الإسلامي، وقام بالتدريس في الجامعة الأمريكية بالقاهرة لفترة من الوقت وهو رئيس قسم اللاهوت المسيحي في هارتيفورد بأمريكا، وهو معهد للمبشرين، ومن كتبه دعوة المئذنة صدر عام ١٩٥٦م.

٣- لويس ماسينيون.

قام على رعاية التبشير والتنصير في مصر، وهو عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، كما أنه مستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال إفريقيا.

(٨) المؤتمرات التنصيرية

يعقد المنصرون المؤتمرات الإقليمية والعالمية، لتنظيم الجهود، وشحذ الهمم، والاطلاع على كل جديد، ومن هذه المؤتمرات:

١. مؤتمر القاهرة عام ١٩٠٦م وقد دعا فيه زويمر الإرساليات التبشيرية البروتستانتية للبحث في مسألة نشر الإنجيل بين المسلمين، وقد بلغ عدد المؤتمرين ٦٢ شخصاً، وكان زويمر رئيسا للمؤتمر.

٢. المؤتمر التبشيري العالمي في أدنبره باسكوتلنده عام ١٩١٠م وقد حضره مندوبون عن ١٥٩ جمعية تبشيرية.

٣. مؤتمر التبشير في لكهنؤ بالهند عام ١٩١١م وحضره زويمر.

٤. مؤتمر الكنائس البروتستانتية عام ١٩٧٤ في لوزان بسويسرا.

٥. مؤتمر جاكرتا ١٩٧٥ وقد اشترك فيه ٣٠٠٠ مبشر نصراني.

٦. المؤتمر السادس لمجلس الكنائس العالمي عام ١٩٨٠م في كاليفورنيا بالولايات المتحدة، وقد حث المؤتمر على ضرورة زيادة البعثات التنصيرية بين مسلمي الشرق الأوسط، خاصة في دول الخليج.

٧. المؤتمر العالمي للتنصير بالسويد عقد عام ١٩٨١م تحت إشراف المجلس الفيدرالي اللوثراني، والذي خرج بدراسة مستفيضة عن التنصير لما وراء البحار، بهدف التركيز على دول العالم الثالث.

(٩) تقويم جهود المنصرين

إن هذه الأضواء السريعة على التنصير في العالم الإسلامي توضح لنا مدى الخطر الذي يهدد عالمنا، كما تكشف عن الحقد الصليبي الذي ما زال مخيما على أفكار القوم، ويملأ قلوبهم، ويتوارثه الأبناء عن الآباء والأجداد، وكلهم عزم وتصميم على القضاء على الإسلام، الذي وقف سداً منيعاً في وجه طغيانهم واستعبادهم وقهرهم للأمم والشعوب المستضعفة والفقيرة.

ونقول بكل ثقة إن هذه الجهود خاسرة ولن تفلح في النيل من الإسلام العظيم، ولكنها سنة الصراع بين الحق والباطل.

وقد قال الله تعالى: ((إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد)) [غافر:٥١].

ولا يعني هذا القعود عن مدافعة هذا الشر بالوسائل التي شرعها الله لنا، ولا يعني التخاذل عن مقاومة الباطل، وعلى كل منا أن يعرف واجبه ومسؤوليته تجاه هذا الدين العظيم، فيقوم به خير قيام، وإلا كان ممن قال الله فيهم: ((وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم)) [محمد:٣٨].

(١٠) مواجهة حملات التنصير

إذا كانت حركة التنصير بهذا الشكل، وتعمل بكافة قوتها وتكتلاتها ضد الإسلام والمسلمين في كافة أنحاء العالم الإسلامي، من أجل إطفاء نور الله من على ظهر البسيطة، وفق استراتيجية بعيدة المدى، فما عسانا أن نفعل كمسلمين لمواجهة هذا الخطر الداهم؟

هناك كثير من المقترحات أو الإجراءات التي يمكن أن يتخذها المسلمون لمواجهة خطر التنصير في بلاد العالم الإسلامي، من أهمها:

١- أن يعمل كل مسلم على إقامة الدين في نفسه وعشيرته.

٢- أن تعمل الحكومات في البلاد الإسلامية على تحكيم الشريعة الإسلامية، ونشر المعرفة الدينية، ومحاربة المذاهب الهدامة؛ حتى يوجد الوعي السياسي الذي يدرك مخططات الأعداء؛ ليقوم بإحباطها.

٣- إنشاء مراكز رئيسة للدعوة الإسلامية، وإنشاء فروع لها في كافة أنحاء العالم الإسلامي، والسعي لتوحيد الجهود والأهداف.

٤- إيجاد إذاعة قوية تصل إلى أماكن التنصير خاصة في أفريقية وبجميع اللغات.

٥- إنشاء مجلة كبرى لتتبع أخبار أفريقية، وتزويد أفريقية بمعلومات كافية عن الإسلام ومخططات الأعداء.

٦- تأليف ونشر الكتب الهادفة بكل اللغات الإسلامية؛ لمحاربة الآراء المناوئة.

٧- نشر اللغة العربية في أفريقية، وتدريب المعلمين الأفارقة للقيام بواجبهم مثل ما يقوم به الاتحاد العالمي للمدارس الدولية، والذي يجد تشجيعا من المملكة العربية السعودية.

٨- إرسال العلماء والدعاة من ذوي الخبرة والتأثير إلى المناطق الأفريقية المختلفة، لا سيما التي يحتدم فيها الصراع بين الإسلام والنصرانية.

٩- إنشاء معاهد لتدريس لغات أفريقية الكبرى، وتدريب الدعاة المسلمين، وإنشاء معاهد لتأهيل الكوادر الإسلامية للقيام بالدعوة الإسلامية.

١٠- إنشاء مراكز أبحاث خاصة بالشؤون الأفريقية؛ لرصد أنشطة التنصير، وتقديم أنفع الحلول، وأنجح الوسائل في الدعوة إلى الإسلام.

١١- إنشاء المساجد الجيدة، والمزودة بالمكتبات، والدعاة المؤهلين من ذوي الإخلاص للدعوة.

١٢- تطوير التعليم الإسلامي، والمساهمة في إنشاء المدارس المزودة بكل الوسائل التي تساهم في تربية جيل يستطيع أن يتخلص من مشكلات العصر والعراقيل التي توضع أمامه.

١٣- تيسير المنح الجامعية للطلاب المسلمين في الجامعات الإسلامية، مع الحرص على تأهيلهم ليعودوا دعاة إلى الله عز وجل، من خلال جهد دعوي مكثف.

الاستشراق

الاستشراق

تمهيد

يشكل الاستشراق الجذور الحقيقية التي كانت ولا تزال تقدم المدد للتنصير والاستعمار، وتغذي عملية الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، وتشكل المناخ الملائم من أجل فرض السيطرة الاستعمارية على الشرق الإسلامي وإخضاع شعوبه.

فالاستشراق هو المنجم والمصنع الفكري الذي يمد المنصَّرين والمستعمرين بالمواد يسوِّقونها في العالم الإسلامي؛ لتحطيم عقيدته، وهدم عالم أفكاره، وقد جاء هذا الغزو الثقافي ثمرة لإخفاق الغزو العسكري وسقوطه، ولتربية جيل ما بعد الاستعمار. .

ويكفي أن نعلم أن في القارة الأمريكية وحدها الكثير من مراكز البحوث والدراسات الاستشراقية، وقد جعلوا القسم الأكبر منها متخصص بشؤون العالم الإسلامي، ووظيفة هذه المراكز:

"تتبع ورصد كلما يجري في العالم الإسلامي من أحداث، ومن ثم دراسته وتحليله مع أصوله التاريخية ومنابعه العقدية، ثم مناقشة ذلك مع صانعي القرار السياسي؛ ومن ثم تبنى على أساس ذلك الخطط، وتوضع الاستراتيجيات، وتحدد الوسائل المناسبة لضرب الإسلام".

وسنتناول الاستشراق من خلال العناصر الآتي:

١- تعريف الاستشراق.

٢- مسميات الاستشراق.

٣- تاريخ الاستشراق.

٤- أهداف الاستشراق ودوافعه.

٥- منهج المستشرقين.

٦- وسائل المستشرقين.

٧- آثار الاستشراق ونتائجه.

٨- مواجهة الاستشراق.

(١) تعريف الاستشراق

الاستشراق في اللغة:

الاستشراق كلمة مأخوذة من الفعل (استشرق)، أي: **طلب الشرق**.

والاستشراق طلب علوم الشرق ولغاتهم، ويسمى من يقوم بذلك: مستشرق، وجمعه مستشرقون، وما ينجزونه يسمى: استشراق.

وكلمة الاستشراق مولدة عصرية في اللغة العربية، وكذا في اللغات الأجنبية.

فقد ظهرت كلمة مستشرق Orientalist في إنجلترا سنة ١٧٧٩م، وفي فرنسا سنة ١٧٩٩م، ثم أدرجت كلمة الاستشراق في قاموس الأكاديمية الفرنسية سنة ١٩٣٨م.

الاستشراق في الاصطلاح:

حركة دراسة العلوم والآداب والحضارة والثقافة الإسلامية؛ بهدف معرفة عقلية المسلمين وأفكارهم وأسباب تفوقهم وقوتهم؛ لضرب هذه القوة من جهة، والاستفادة من علوم المسلمين من جهة ثانية، والتمهيد للاستعمار النصراني لدول العالم الإسلامي، وإخضاعها لنفوذه وسلطانه من جهة ثالثة.

(٢) مسميات الاستشراق

يسعى أصحاب الأهداف السيئة، والنوايا الخبيثة إلى تغيير مسميات الأشياء لإخفاء الحقائق، وذلك من باب التضليل والتلبيس على الجهال والمغفلين، وذلك مثل تسمية الخمر مشروبات روحية، والربا فوائد قانونية، فهذه المسميات الجذابة المضللة لا تغير حقيقة الخمر ولا الربا ولا تلغي تحريمها عند المسلمين، ومن هذا القبيل مصطلح الاستشراق، والذي قد يسمى بـ"**الدراسات الإقليمية**" أو "**دراسات الشرق الأوسط**"، فإن تغيير الاسم لا يغير حقيقة الاستشراق مع بقاء الأهداف والوسائل.

(٣) تاريخ الاستشراق

الاستشراق كحركة منظمة لها أهداف محددة ومنهج معين: هو وليد العصور الحديثة إذ ترجع نشأته إلى القرن الثامن عشر الميلادي.

غير أن **الاستشراق كأسلوب مواجهة فردية للإسلام:** ظهر قبل هذا التاريخ بكثير، إذ ترجع البدايات الأولى إلى القرن الأول الهجري.

فقد استرعى الإسلام انتباه أعدائه منذ ظهوره، فحاولوا الوقوف أمامه بكل ما يستطيعون، ولا أدل على ذلك من أن يوحنا الدمشقي (٦٧٦- ٧٤٩م) قد درس الإسلام، وكتب كتابا في المجادلة بين المسلم والنصراني، ثم ظهر من بعده القديس(كيراس)، الذي عنى بالقرآن وترجم بعض آياته كما ظهر (بيتر فيل) في القرن ١١م، وقد ترجم القرآن كاملا.

وبعد هذا كانت حركة هجرة العلماء النصارى المنظمة إلى الأندلس للبحث عن العلم والثقافة عند المسلمين، وراحوا ينقلون المخطوطات الإسلامية إلى اللغة اللاتينية، والتي كانت وراء نهضتهم وتقدمهم، وكانت هذه هي البواكير الأولى لحركة الاستشراق.

ومع الحروب الصليبية نهب النصارى المكتبات الإسلامية ونقلوها إلى الغرب، وحين فشلت هذه الحروب اتجهت أنظار الاستعمار الغربي إلى حركة الاستشراق، فقد جعل منها أداة لخدمة مخططاته ورصد لها الميزانيات وحدد لها الواجبات.

وقد تشكلت أول جمعية علمية للاستشراق في باريس سنة ١٨٢٢م، ثم تشكلت من بعدها الجمعية الملكية في بريطانيا وايرلندا سنة ١٨٢٣م، والجمعية الأمريكية سنة ١٨٤٢م، والألمانية ١٨٤٥م.

بدأ المستشرقون ينظمون المؤتمرات الدولية؛ بهدف التنسيق بين جهودهم، وتوثيق أواصر التعاون بينهم، فقد عقد أول مؤتمر دولي للمستشرقين في باريس عام ١٨٧٣م، وتلاه عدد كبير من المؤتمرات بلغت ٣٠ مؤتمراً، ولاتزال هذه المؤتمرات تعقد بانتظام حتى اليوم.

ولم يقف الاستشراق عند حد الغرب النصراني؛ بل إن الشرق الشيوعي أيضا قد شكل جمعية للمستشرقين تحت عنوان:(رابطة تحرير الشرق)، أسسها عام ١٩٢٠م، واعتبرها مدرسة علمية لتخريج الطلائع المبشرة بالشيوعية في العالم الإسلامي.

ويكفي أن نعلم أن في أمريكا وحدها ٥٠ مركزاً مختصاً بالعالم الإسلامي، ووظيفة هذه المراكز:

١- تتبع ورصد كل ما يجري في العالم الإسلامي من أحداث.

٢- ثم دراسته وتحليله مع أصوله التاريخية.

٣- ثم مناقشة ذلك مع صانعي القرار السياسي.

٤- ومن ثم تبنى على أساس ذلك الخطط والاستراتيجيات، وتحدد الوسائل الملائمة لضرب الإسلام.

(٤) أهداف الاستشراق ودوافعه

للاستشراق أهداف كثيرة منها الدينية، والاستعمارية، والعلمية، والاقتصادية، والتجارية، وسوف نلقي الضوء سريعاً على هذه الأهداف:

١- الأهداف الدينية:

لقد أذهل النصارى المد السريع للإسلام، والذي زحف على المعاقل المسيحية وطرق أبوابها، ومن هنا فكرت البابوية في روما في مواجهة هذا الزحف عن طريق الاستشراق، فدفعت بالرهبان والقسس إلى دراسة اللغة العربية، والعلوم الإسلامية؛ لكي يحققوا غايتين:

الأولى: انتزاع مقومات الفكر الإسلامي، وذلك بالتشكيك وإثارة الشبهات حوله، كوسيلة لفرض الثقافة الغربية التي تحاول تطويق الثقافة الإسلامية وصهرها في بوتقة الثقافة الغربية.

والثانية: محاولة إسقاط النفوذ الإسلامي وتطويقه حتى لا ينشر في أماكن أخرى من العالم الغربي.

٢- الأهداف الاستعمارية:

فمنذ فشل أسلوب القوة العسكرية أثناء الحروب الصليبية، تبنى الاستعمار حركة الاستشراق واستعان بالمستشرقين، واعتبرهم طلائعه الذين يتعرفون على الأفكار، ويقومون بالدعايات، وإثارة المنازعات، وإشعال الخلافات.

كما قام المستشرقون بالتجسس على البلاد، والتعرف على أحوالها، وكتابة التقارير عنها، لذلك نلاحظ أن كثيرا من هؤلاء المستشرقين لم يكونوا علماء بحق، وإنما كانوا سياسيين ينفذون رغبات الاستعمار الغربي.

فالمستشرق " لويس ماسنيون، وهانوتو، وسانت هلير، ودوق دراكو، وسانت هلير، وغيرهم كانوا أعضاء في المجالس النيابية في بلادهم، وكانوا مستشارين لوزارات الخارجية فيها.

وبالإجماع فالمستشرقون في جمهورهم لا يخلو أحدهم من كونه قسيساً، أو استعمارياً، أو يهودياً، وقد يشذ عن ذلك أفراد.

٣- خدمة مخططات اليهود:

كذلك كان من أهداف حركة الاستشراق خدمة مخططات اليهود؛ لهدم الإسلام والتمكين لهم في فلسطين عن طريق تشويه التاريخ العام.

وهذا ما أشار إليه الدكتور (محمد البهي) إذ قال: "إن هؤلاء اقبلوا على الاستشراق لأسباب دينية، وهي محاولة إضعاف الإسلام، والتشكيك في قيمته، وإثبات فضل اليهود على الإسلام، بادعاء أن اليهودية هي مصدر الإسلام، ولأسباب سياسية تتصل بخدمة الصهيونية فكرة أولا، ثم دولة ثانياً".

ولا يغيب عن بالنا أن اليهود هم الذين طرحوا على إنجلترا فكرة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، في مؤتمر لندن المنعقد سنة ١٩٠٧م.

٤- أهداف تجارية: حيث أن بعض المرتزقة ربحوا ربحا ماديا وراء طبع ونشر علوم المسلمين ومخطوطاتهم.

٥- أهداف علمية: حيث إن الأوروبيين أرادوا أن ينزعوا عن جهلهم وتخلفهم، فأرسلوا المستشرقين لنقل العلوم الإسلامية والكشف عما تكنه العلوم من كنوز ثمينة، كما أنشئوا مراكز البحوث، وكراسي اللغات، وأقسام الآداب، وشعب التاريخ والأديان.

كذلك أرسلوا البعثات العلمية المنظمة، وقد استفادت أوروبا من هذه البعثات العلمية فوائد لا تحصى ولا تعد، وأصبح أفرادها بعد عودتهم شعلة علمية تضيء مجاهل أوروبا.

وهناك عدد محدود من المستشرقين يعدون على أصابع اليدين كانوا يقصدون إلى أهداف علمية نبيلة، تحاول البحث عن الحق لذاته، وتدرس الإسلام بموضوعية ونزاهة إلى حد ما، ومن هؤلاء:

موريسبوكاي، وجوستاف لوبون، وسجريد هونكة، وتوماس كاريل، وتوماس أرنولد، وبرنارد شو، وليبولد فاس، وروجيهجارودي، وهادريان ريلاند، ويوهند جي رايسكة.

(٥) منهج المستشرقين

درس المستشرقون الإسلام بكل صوره، عقيدة، وفكراً، ونظاماً، وحضارة، ومصادر، وفلسفة، ولكنهم وقعوا في كثير من الأخطاء المنهجية، ومنها:

١- إيمانهم بأفكار مسبقة.

فقد درسوا الإسلام وفي أذهانهم فكرة أساسية، هي:(أن الإسلام دين باطل لا بد من هدمه والقضاء عليه!). فكان الواحد منهم يبدأ أبحاثه عن الإسلام بهذا الحكم الذي آمن به، وهذا مخالف لمنهج البحث العلمي، الذي يحتم على الباحث أن يبدأ بحثه وهو خال الذهن من الأحكام، ثم يصل إلى أحكامه من خلال الأدلة والبراهين الواقعية.

دخل معظم المستشرقون ميدان البحث الإسلامي بضمائر مدخولة، ولم تخامرهم أبدا نية التجرد للحق والإخلاص له؛ بل إنهم كان يعز عليهم أن يقولوا كلمة الحق إن كان فيها ما ينصف الإسلام أو يكشف حقيقة من حقائقه.

وهذه طريقة سلبية لا تشرف العلم، حتى أنهم كانوا إذا وجدوا في القرآن آيات تتناسب في معانيها مع أغراضهم اقتبسوها، وإذا وجدوا آيات لا تتناسب مع غرضهم تجاهلوها، وقالوا: إنها غير موجودة في القرآن الكريم.

وهم أنفسهم اعترفوا بذلك، يقول المستشرق هانوتو: "وأفضل الطرق لتثبيت ولاية المستعمر الأوربي على البلاد الإسلامية: هو تشويه الدين الإسلامي، وتصويره في نفوس معتقديه بإبراز الخلافات المذهبية... مع شرح مبادئ الإسلام شرحاً يشوهها، وينحرف بها عن قيمها الأصلية".

وقد أشار المستشرق الفرنسي المنصف (موريس بوكاي) إلى أن معظم الناس في الغرب قد تربوا على سوء فهم الإسلام والقرآن، حيث حاول المستشرقون غير المنصفين أن يشوهوا صورة القرآن في أعين الناشئة.

٢- المصادر.

اعتمد المستشرقون في دراستهم للإسلام على كتب مدسوسة على الإسلام، مليئة بالإسرائيليات والغرائب والخرافات، ومن خلال ذلك يولدون ما يشاءون من النصوص التي يتصيدونها من مصادر تعجبهم باعتبارها غايتهم.

٣- جهل معظمهم باللغة العربية.

بل إن بعضهم كان لا يعرف كلمة واحدة من اللغة العربية مثل: سلفتر دي ساس، وأليس غرينان، وجيرار دمتر.

يقول الأستاذ أحمد فارس الشدياق: "إن هؤلاء المستشرقين لم يأخذوا العلم عن شيوخه، وإنما تطفلوا عليه تطفلا وتوثبوا فيه توثبا. ومن تخرج فيه بشيء فإنما تخرج على القسس، ثم أدخل رأسه في أضغاث أحلام أو أدخل أضغاث أحلام في رأسه، وتوهم أنه يعرف شيئا وهو يجهله. وكل منهم إذا درس في إحدى لغات الشرق، أو ترجم شيئا منها تراه يخبط فيها خبط عشواء، فما اشتبه عليه منها رقعه من عنده بما شاء، وما كان بين الشبهة واليقين حَدَس فيه وخمن، فرجح منه المرجوح وفضل المفضول".

٤- اعتبارهم أن المسلمين هم الإسلام.

فحكموا على الإسلام من خلال واقع المسلمين، وفرق شاسع بين حال المسلمين وبين الإسلام، فلا يجب أبدا أن تتخذ عصور التخلف الطويلة التي عاشها المسلمون دليلا على قصور الإسلام نفسه.

فالإسلام نظرية تدرس وتحقق ويحكم عليها بصرف النظر عن معتنقيها، أما أن نأخذ من تأخر المسلمين وتخلفهم دليلا على ضعف الإسلام وعدم صحته، فهذا ما يأباه المنهج العلمي السليم.

ومن أجل هذه الأخطاء المنهجية كانت معظم آرائهم عن الإسلام ضلال في ضلال، فمثلاً:

١- حين درسوا القرآن الكريم لم يروا فيه إلا أنه من عند محمد، نقله عن أحبار اليهود ورهبان النصارى.

٢- حين درسوا السنة النبوية لم يروا فيها إلا أنها موضوعة من الصحابة والتابعين.

٣- حين درسوا الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامي لم يروا فيه إلا أنها مأخوذة من الفقه الروماني.

٤- حين درسوا الفلسفة الإسلامية لم يروا فيها إلا أنها الفلسفة اليونانية منقولة بلغة عربية.

٥- حين درسوا اللغة العربية لم يروا فيها إلا أنها لغة ميتة لا تساير الحياة والتطور.

وهكذا نظروا إلى لإسلام بعين السخط التي لا ترى إلا العيوب والمساوئ.

وعين الرضا عن كل عيب كليلة..... ولكن عين السخط تبدي المساوئ

وهكذا أعماهم الحقد ونوايا السوء عن الوصول إلى الحق.

والسؤال الآن: هل نخشى على الإسلام من المستشرقين؟

بكل صراحة نحن لا نخشى على الإسلام من المستشرقين لو أنهم اتبعوا المنهج العلمي السليم؛ لأن من اتبع هذا المنهج انتهى به الأمر إلى الارتماء في أحضان الإسلام.

ونذكر بكل فخر واعتزاز (روجيه جارودي) الذي ترك النصرانية واعتنق الماركسية، ثم بحث في الإسلام بحثا موضوعيا؛ فانتهى به البحث إلى اعتناق الإسلام، وكان إسلامه صدمة لكل الدوائر المعادية للإسلام من الشيوعية إلى الصليبية واليهودية.

ومن قبله سار في نفس الطريق: ليوبلد فاس، الذي سمى نفسه محمد أسد، وعالمة الذرة الأمريكية كريستينا، والفيلسوف الفرنسي اتين رينيه، والشاعر الألماني جوته، ورينيه جينون، و الدكتور جرينييه الذي كان عضوا بمجلس النواب الفرنسي.

كل هؤلاء مستشرقون درسوا الإسلام بمنهج علمي سليم، فآمنوا به واعتنقوه.

(٧) وسائل المستشرقين

سلك المستشرقون طرقا عديدة في الوصول إلى أغراضهم منها: التدريس في الجامعات، وجمع المخطوطات العربية، والتحقيق، والنشر، والترجمة.

بالإضافة إلى الاشتراك في المجمعات اللغوية، والمجامع العلمية في العالم الإسلامي.

ولكن أخطر وسائلهم على الإطلاق كانت هي التأليف حيث ألفوا كثيرا من الكتب التي تطعن في الإسلام ومنها كتاب: (حياة محمد) للسير وليم مور، و(الإسلام) تأليف الفردجيوم، الإسلام" لهنري لامنس و(دعوة المآذنة) تأليف كينيت كراج، و(ترجمة القرآن)، لآبري، و(الإسلام) لصموئيل زويمر، و(مصادر الإسلام) لتسدل.

وسوف نلقي الضوء سريعا على أخطر الكتب التي بثها المستشرقون على الإطلاق وهي:

١- دائرة المعارف الإسلامية.

وهو معجم ألفه المستشرقون لخدمة النصرانية واليهودية، حيث أنهم لم يتركوا شيئا من عقائد الإسلام ولا شرائعه إلا صوروه لقرائهم بما يخالف الصورة الصحيحة في كثير من الوجوه، وما لم يشوهوه من الحقائق عرضوه بصورة عادية لا مزية فيها.

وفي هذه الدائرة كثير من العيوب العلمية والتاريخية المغرضة، وبالإجماع فإن هذه الدائرة لا تصلح مصدرا لانتقاء المعلومات عن الإسلام لا من المسلمين ولا من غيرهم.

٢- قاموس المنجد.

وهو طافح بالتعصب والحقد على الإسلام، وبه ما يقرب من أربعمائة خطأ تاريخي وعلمي.

٣- الموسوعة العربية الميسرة.

وهي تعرض المعلومات الإسلامية بصورة ضعيفة وفاترة، بالإضافة إلى عناصر تشويه التاريخ بهدف خدمة المخططات الصهيونية؛ حيث تعبر عن وجهة نظر اليهود في كثير من المسائل، هذا بالإضافة إلى كتاب:(يقظة العرب) الذي ألفه جورج أنطنيوس، وكتاب:(شمائل المصريين) الذي وضعه ادوارد وليم.

وقد نبهنا إلى خطورة هذه الكتب نظرا لأن أدوات الاستشراق قد روجت لها وجعلتها المصادر الأساسية لمن يكتب في الإسلام.

وللأسف إنا نجد هذه الكتب في كل المكتبات العامة وفي المعاهد التي يتعلم فيها أبناؤنا، ومن هنا يكون الخطر؛ لأن هذه الكتب مسمومة؛ ولأن قارئها إن لم يكن واعيا بخطورتها سوف تتشكل مفاهيمه بصورة معارضة لحقائق الإسلام.

(٨) آثار الاستشراق ونتائجه

كان لحركة الاستشراق بعض الآثار المفيدة، والتي تمثلت في إحياء المخطوطات العربية، وطبع الكثير من كتب التراث الإسلامي، وتحقيقه، ونشره، أو ترجمته إلى اللغات الأجنبية.

إلا أن الآثار السيئة لهذه الحركة كانت من أخطر ما يكون على المسلمين، ومنها:

١- الغزو الفكري الذي أصاب المسلمين في دينهم.

فحولهم إلى مسخ آدمية لا تحمل من الإسلام إلا اسمه، فقد جعلهم يقلدون الغرب النصراني في عاداته، وتقاليده، وثقافته، وفكره، ونظمه، وقوانينه، ومن هنا كسب اليهود معركتهم مع المسلمين، حين أفلح هذا الغزو في زحزحتهم عن دينهم، وتمييع قيمه، ومثله، وأحكامه.

٢- تفريخ دعاة التغريب.

وهم الذين خرق الفكر الغربي الاستشراقي عقولهم ، وشكلها بالطريقة التي يحبها، حتى كانوا هم المستشرقين المسلمين. ولدوا في بلادنا ولكن عقولهم وقلوبهم تربت في الغرب، ونمت أعوادهم مائلة إليه، فكانوا تباعا لما جاءوا به.

٣- بعث الخلافات القديمة وإحياء الشبه المدفونة.

وإثارة البلبلة في العالم الإسلامي عن طريق بعث الخلافات بين السنة والشيعة والخوارج، ذلك أن الوحدة الإسلامية هي الخطر الأساسي الذي واجه أعداء الإسلام.

ووحدة الأمة لا تتم إلا في ضوء فكرها وثقافتها، ومادامت ممزقة إلى عشرات المذاهب والدعوات فإنه يستحيل أن تتوحد جهودها، ولذلك حاول المستشرقون أن يصوروا الإسلام على أنه دين يختلف باختلاف الشعوب، وبعثوا من جديد أفكار الخوارج، وذلك في محاولة لتمزيق العالم الإسلامي فكرياً.

٤- إضعاف اللغة العربية.

لقد أدرك المستشرقون أن القضاء على وحدة المسلمين لا يمكن أن تتم مادامت هناك لغة واحدة يتكلمها المسلمون، ويربطون بها حاضرهم وماضيهم، ذلك أن اللغة هي تراث الأمة وهويتها، وحين تترك الأمة لغتها تتنازل عن هويتها وتراثها، ويصبح من السهل عليها أن تندمج في أية حضارة، وتتأثر بأية ثقافة.

لهذا حاول المستشرقون القضاء على اللغة العربية أو إضعافها وإحلال العامية محلها، وقد تبنى هذه الحركة (لويس ماسنيون)، وجند لها الدعاة من أمثال سلامة موسى، وزكي نجيب محمود، وغيرهم، من الذين أشاعوا: أن لغة القرآن والسنة المطهرة لا تساير احتياجات العصر؛ ولذلك يجب على المسلمين أن يهجروها، ويتحدثوا باللغة العامية بحيث تصبح هي اللغة الشائعة.

وقد راجت هذه الأفكار الخبيثة في مصر وغيرها، حتى هجر القرآن والسنة؛ لأنها بلغة مغايرة لما يتحدث به الناس!.

وقد تبنى المستشرقون وأذيالهم ثلاث دعوات حاولوا أن ينشروها في العالم الإسلامي من أجل قتل اللغة العربية:

الأولى: الدعوة إلى رسمية اللهجات المحلية (العامية).

الثانية: الدعوة إلى كتابة اللهجات بحروف لاتينية.

الثالثة: الادعاء بأن الفصحى تقضي على قوة العرب الاختراعية.

وقد قام أتاتورك بالتنفيذ الفعلي لأفكار المستشرقين، فقد استبدل بالحروف العربية الحروف اللاتينية، وترجم القرآن إلى اللغة التركية، وألزم الناس بالتعبد بها، ومنع تدريس اللغة العربية في غير معاهد دينية محدودة وضعت تحت رقابة شديدة؛ لذلك نشأ جيل جديد منقطع الصلة بالتراث الإسلامي.

وفي مصر أصدر الاحتلال الانجليزي قرارا سنة ١٨٨٩م بإرغام المصريين على أن يتلقوا علومهم باللغة الأجنبية بدلا من اللغة العربية.

كما ظهر عبد العزيز فهمي بدعوى مماثلة لما قام به أتاتورك.

وللأسف أن دعوات المستشرقين قد أثرت على اللغة العربية، فتنحت عن ميدان التعامل اليومي، وأصبحت العامية هي لغة كل وسائل الإعلام، وقد استغل أعداء الإسلام الفرصة فقاموا بنشر اللغات الأجنبية على حساب اللغة العربية الفصحى؛ لتموت وبالتالي يموت معها التراث الإسلامي الذي كتب بها.

٥- محاربة الجهاد وتشويهه:

إن أخشى ما يخشاه أعداء الإسلام كلمة (الجهاد)؛ لأنهم جربوا وقعها في نفوس المسلمين حين يحدث الخطب؛ ولذلك حرم المستعمرون الفرنسيون في الجزائر تدريس الجهاد في آيات القرآن الكريم، أو في أبواب الفقه الإسلامي.

ومن هنا قام المستشرقون بحملة زور عنيفة على الجهاد في الإسلام، فوصفوا المسلمين بالتعصب، وأن الإسلام لا يعرف حرية الفكر، ولا حرية العقيدة، وأنه لم ينتشر إلا بحد السيف، وظلوا ينفرون من الجهاد في سبيل الله حتى بدأ بعض المفكرين المسلمين يصورون الجهاد في الإسلام بغير حقيقته.

متناسين الدمار الذين ألحقته الحروب الصليبية الوسيطة والحديثة؛ في سبيل إذلال الشعوب وامتصاص خيراتها.

ولنا أن نعرف أن عدد القتلى والجرحى في الحرب العالمية الأولى بلغ واحد وعشرون مليون نسمة، وفي الحرب العالمية الثانية خمسون مليونا من القتلى والجرحى.

ومع ذلك يدعون أن الإسلام دين السيف والقهر وينشرون هذه الفرية، ويلحون في تأكيدها حتى تضيع شريعة الجهاد، وبذلك يمرحون ويسرحون كما يشاءون في العالم الإسلامي.

(٩) مواجهة الاستشراق

وضع الدكتور محمد البهي -رحمه الله- خطة لمواجهة الاستشراق، تتلخص فيما يأتي:

١- قيام المؤتمر الإسلامي بالمساهمة في تنقية الحياة العربية والإسلامية من رواسب الاستشراق، بإبعاد عملائه من حياة التوجيه في العالم الإسلامي.

٢- إعادة تقويم القيم الإسلامية في نفوس المسلمين بعد أن زعزعها الاستشراق.

٣- أن تكون هناك مكاتب اتصال ملحقة بسفاراتنا بالخارج؛ لتتبع كتابات المستشرقين والمبشرين وموافاتنا بها سريعا.

ومما جاء في الخطة التي اقترحها محمود زقزوق لمواجهة الاستشراق ما يأتي:

١- إنشاء موسوعة الرد على المستشرقين، وقد حدد رحمه الله لهذه الموسوعة المنهج العلمي الواجب اتباعه في إعدادها.

٢- إنشاء مؤسسة إسلامية علمية عالمية تقوم على شؤون العالم الإسلامي، بحيث تكون بعيدة عن الانتماءات السياسية، ويكون ولاؤها لله أولا وأخيراً.

٣- إنشاء دائرة معارف إسلامية جديدة، تعرض حقائق الإسلام عرضاً واضحاً، ينفي عنه خبث دائرة المعارف التي كتبها المستشرقون.

٤- وضع ترجمة إسلامية لمعاني القرآن الكريم، فقد ترجمه أعداؤنا ترجمة مشوهة.

ونضيف نشر اللغة العربية بين المسلمين غير العرب وبين الأوروبيين؛ حتى يستطيعوا أن يقرؤوا القرآن بلغة عربية سليمة.

٥- إنشاء جهاز عالمي للدعوة الإسلامية، يهتم بالدعوة، ويرعى المسلمين الجدد، ويحمي المسلمين بالوراثة.

٦- تنقية التراث الإسلامي من الإسرائيليات والدخيل.

٧- الحضور الإسلامي في الغرب، بمحاولة اقتحام مجالات التدريس للعلوم العربية والإسلامية في الغرب عن طريق الاتفاقيات الثقافية.

٨- الحوار مع المستشرقين المعتدلين، بهدف ترشيد المثقفين المسلمين المتأثرين بأفكار استشراقية.

٩- إنشاء دار نشر إسلامية عالمية، مهمتها نشر المطبوعات الإسلامية بكافة اللغات الأجنبية.

١٠- إنشاء وكالة أنباء إسلامية، تستطيع أن تكون هي المصدر الذي يستقي منه الغرب معلوماته عن العالم الإسلامي وليس العكس، فنحن الآن نستقي حاليا معلوماتنا عن العالم الإسلامي من وكالات الأنباء الغربية، والتي لا تتحرى الموضوعية والأمانة في عرضها لأخبار العالم الإسلامي؛ بل تحاول تشويه المسلمين.

هذه هي الخطط التي وضعها مفكروا الإسلام لمواجهة حركة الاستشراق وقد قاموا بواجبهم، وبقي على الحكومات الإسلامية التي تملك عناصر التمويل اسشعار عظم المسؤولية، والقيام بواجبها نصرة لدينها العالمي الخالد.

العلمانية

العلمانية

العَلمانية أو العِلمانية هي وباء العصر، إلى درجة أننا يمكن أن نسمي العصر الذي نعيشه عصر العلمانية، وهي من أخطر طرق الغزو الفكري الموجه لبلاد المسلمين.

وسنتناول العلمانية من خلال العناصر الآتية:

١- تعريف العلمانية.

٢- نشأة العلمانية.

٣- أبرز آثار العلمانية في الغرب.

٤- أسباب انتقال العلمانية إلى العالم الإسلامي.

٥- أهداف العلمانية في العالم الإسلامي.

٦- أسس العلمانية.

٧- موقف العلمانية من الإسلام.

٨- موقف الإسلام من العلمانية.

(١) تعريف العلمانية

العلمانية في اللغة:

العَلْمانية في الأصل ترجمة للكلمة اللاتينية secularism، وهي تعني اتجاهاً أو مذهباً، مأخوذة من الكلمة secular وتعني: "دنيوي أو لا ديني ".

وكان أول من وضع هذه اللفظة في اللغة العربية نصراني لبناني اسمه: "إلياس بقطر" وضعها في معجم عربي فرنسي من تأليفه، وذلك عام سبعة وعشرين وثمانمائة وألف، ثم تبعه على ذلك أصحاب المعاجم النصارى – أيضاً – ومنهم خليل الجسر، والبستاني في معجميهما.

ولأن العلمانية لفظ أو مصطلح مستحدث، فإننا لا نجد له ذكراً في معاجم اللغة العربية القديمة، وأول معجم عربي أورد ذكره، هو المعجم الوسيط الذي وضعه مجمع اللغة العربية.

لكن معاجم النصارى في لبنان سبقت ذلك، حيث إن العلمانية مشكلة نصرانية أولاً وأخيراً، ولا صلة لها بالإسلام والمسلمين، لذلك كان هؤلاء أسبق إلى ترجمتها والدعوة إليها. ولقد عنينا ببيان اشتقاق الكلمة، ونسبتها إلى المصدر الذي أخذت عنه، وأنها "العَلْمانية " بفتح العين نسبة إلى العالم الدنيوي المادي في مقابل العالم الأخروي الغيبي.

على أن هناك من قال إنها "العِلْمانية" نسبة إلى العلم، حيث كان رجال الدين في الغرب النصراني يقاومون العلم ويحرقون العلماء !، وهذا ضعيف ولا يصح.

يتضح مما ذكرناه أن العلمانية اتجاه فكري سياسي اجتماعي يعني اللادينية في مقابل الدين، كما يعني العالم الدنيوي المادي، في مقابل العالم الغيبي، ولذلك كان أقرب الترجمات صحة لهذه اللفظة هي:"اللادينية" أو "الدنيوية".

العلمانية في الاصطلاح:

تيار فكري نصراني غربي، يقوم على أن الدين – أي دين – لا صلة له بشؤون الحياة الدنيا، وأن الحياة التي يعيشها الناس بكل ما فيها ومن فيها لا علاقة لها بالدين من قريب أو بعيد، وأن أي إنسان حر في أن يدين بأي دين يراه، شريطة أن يجعل دينه حبيساً داخل نفسه، فلا يظهر له أثر على حياته وتصرفاته مع الآخرين.

والتعبير الشائع في الكتب الإسلامية المعاصرة هو "فصل الدين عن الدولة"، ولكنه تعبير قاصر، ولا يعطى المدلول الكامل للعلمانية.

والمدلول الصحيح لها هو: "إقامة الحياة على غير الدين" سواء بالنسبة للأمة أو للفرد، ثم تختلف الدول أو الأفراد في موقفها من الدين بمفهومه الضيق المحدود فبعضها تسمح به، كالجماعات الديمقراطية الليبرالية، وبعضا يرفض الدين تماما كجماعات (العلمانية المتطرفة–Anti Religious)، المضادة للدين، ويعنون بها المجتمعات الشيوعية وما شاكلها.

(٢) نشأة العلمانية

ظهرت العلمانية في أوربا في أواخر القرن السابع عشر دعوة على ألسنة المفكرين الغربيين، ثم بدأ تطبيقها الفعلي بفرنسا عقب الثورة الفرنسية ١٧٨٩م في أول حكومة أقامها الثوار.

وقد كان لظهور العلمانية في الغرب النصراني أسباب كثيرة، أهمها الكنيسة ورجالها الذين مارسوا ألواناً من الطغيان والهيمنة والإذلال للجماهير، مما أدى بهم في نهاية الأمر إلى الثورة على الكنيسة ورجالها، وتنحية الدين فيما عرف بعد بالعلمانية، وقد تمثل الطغيان الكنسي في عدة مظاهر، كانت مبررات حقيقية لتلكم الثورة وميلاد العلمانية التي شقت طريقها بقوة حتى ضربت بأطنابها في كثير من بلدان العالم.

والآن، إليك مظاهر الطغيان الكنسي (بإيجاز):

أولا: الطغيان الروحي.

ويتمثل في ارتباط النصراني برجل الدين منذ مولده وحتى وفاته.

فعند مولده يعمده ليكون نصرانياً، وبعد ذلك هو الذي يزوجه، وهو الذي يصلي به صلاة الأحد في الكنيسة، وهو الذي يتقبل اعترافه بخطاياه ويقبل توبته، وهو الذي يصلي عليه عند الموت!.

ويتمثل أيضاً في الأسرار المتعلقة بالتثليث والعشاء الرباني الذي يتحول فيه جسد المسيح إلى خبز، ودماؤه إلى خمر!.

وهي عقائد يجب الإيمان بها، وفي نفس الوقت أسرار لا يعرف حقيقتها إلا رجال الكنيسة دون غيرهم.

ثانياً: الطغيان العقلي والفكري:

ويتمثل في تحريم المناقشة والتفكير في أمر الأسرار المقدسة المتصلة بالعقيدة.

وعلى النصراني أن يقبل العقيدة كما هي، ومن ناقش فيها أو شك في أمرها فهو كافر، ووجبت عليه اللعنة الأبدية، وخرج من رضوان البابوية، ومن ثم خرج من رضوان الله!.

ثالثاً: الطغيان المالي:

ويتمثل في تزهيد رجال الدين للناس في الدنيا، في الوقت الذي كانوا يتنافسون فيه على جمع المال، ويعيشون حياة الإسراف والبذخ، ويطغون على ما في أيدي الناس.

حتى أصبحت الكنيسة أكبر ملاك الأراضي وأكبر السادة الإقطاعيين في أوروبا، وقد تعددت مصادر أملاك الكنيسة، فشملت: الأوقاف، والعشور، والهبات، والضرائب، والسخرة.

أما الأوقاف: فكانت تأخذها الكنيسة بالاستيلاء على أراض زراعية واسعة وتوقفها على نفسها؛ لتنفق منها على الأديرة والكنائس، وتجهيز الجيوش للحروب الصليبية، أو الحروب التأديبية التي تقوم بها ضد الملوك والأباطرة الخارجين على سلطانها.

وأما العشور: فكانت تأخذها الكنيسة عن طريق الضرائب، فقد فرضت على أتباعها أن يدفعوا إليها عشر أموالهم ضريبة سنوية، لا يملكون التملص منها تحت وطأة التهديد بالحرمان وغضب الرب !

وكذا يدفعون ضريبة السنة الأولى، وهي دخل السنة الأولى لأية وظيفة من الوظائف الدينية أو الإقطاعية، يدفع إلى الكنيسة بطريق الإجبار.

وأما الهبات: فكانت تأخذها الكنيسة بالإحراج والتوريط، والترغيب والترهيب ! وخاصة الهبات التي تمنح للكنيسة في الوصايا التي يكتبها الناس قبل موتهم.

وأما السخرة: كانت الكنيسة قد فرضت على رعاياها العمل يوما واحدا في الأسبوع بالمجان في أراضي الكنيسة الواسعة.

فيعمل التعساء ستة أيام في الأسبوع ليجدوا خبز الكفاف لهم ولأسرهم، ثم يعملون اليوم السابع – يوم الراحة – سخرة في أراضي الكنيسة لكي توفر الأخيرة أجور العمال التي كان المفروض أن تدفعها لقاء زراعة إقطاعياتها الواسعة وجني حاصلاتها وتزداد بذلك اكتنازا وضراوة في طلب المزيد من المال!.

رابعاً: الطغيان السياسي:

ويتمثل في سلطة البابا الدينية المهيمنة على ذوي السلطة الإدارية والسياسية، فقد كان باستطاعة البابا أن يتوج الملوك والأباطرة، وكان باستطاعته أن يعزلهم أو ينفيهم أو يسجنهم متى ما نازعوه ورفضوا أوامره، وكان بإمكانه أن يحرمهم من الدين، وأن يحرم شعوبهم الذين يوالونهم، ولا يستجيبون لأوامر العزل البابوية.

خامساً: الطغيان العلمي:

ويتمثل في حرمان العقل من التفكير في أمور الكون المادي بما تقتضيه الملاحظات والمشاهدات العلمية، وإلزامه بالتفسيرات الكنسية لما جاء من إشارات في التوراة عن شكل الأرض وعمر الإنسان، ولو خالفت هذه التفسيرات كل حقائق العلم النظرية والعملية على السواء!.

فقد كانت التوراة المحرفة تقول أن الأرض مسطحة، وأنها مركز الكون، وأن الإنسان مركز الوجود!

فظهر علماء يقولون: إن الأرض كروية وإنها ليست مركز الكون!

فاعتبرت الكنيسة هذه المقولة كفرا وإلحادا؛ لمخالفتها الكتاب المقدس، فأحرقت من أحرقت، وعذبت من عذبت، وهددت من هددت بالتعذيب والحرق في النار إن لم يكفوا عن هذه " الهرطقة".

وكان هناك سبب خفي لفزع الكنيسة وعقوبتها المغلظة للعلماء، وهو أنها خشيت أن ينهار كيانها ويتصدع متى ما استنار الناس بالعلم وتبين لهم أن ما تقوله الكنيسة ليس صحيحاً دائماً.

وبعد:

فكل ذلك أدى بالشعوب الغربية بعد جهاد طويل إلى القضاء على سلطان رجال الدين النصارى؛ بل رفض الدين النصراني جملة، وإبعاده عن شؤون الحياة، وحبسه داخل جدران الكنائس.

فأصبح باب الكنيسة يفصل بين عالمين، من باب الكنيسة إلى داخلها هناك النصرانية ورجالها، ومن باب الكنيسة إلى الخارج هناك الدنيا الواسعة التي ليس للنصرانية عليها من سبيل لا في قليل ولا في كثير، وقد رضيت الكنيسة ذلك، واستقر الأمر على هذا في الغرب.

هذه قصة العلمانية في الغرب النصراني، وقد بان لنا أن العالم الغربي النصراني قد اصطلى بنار النصرانية الباطلة، وفساد رجالها، ولم يكن له سبيل للخلاص من هذا كله إلا بالعَلمانية، أي بالقضاء على النصرانية ورجالها، وإبعادها عن حياة الناس جملة.

(٣) أبرز آثار العلمانية في الغرب

إن إبعاد الدين عن مجالات الحياة في المجتمع الغربي نتج عنه ما يلي:

١. الولوغ في المشروبات الروحية.

٢. الإدمان على المخدرات.

٣. الأمراض العصبية والنفسية.

٤. الجرائم البشعة.

٥. السعار الجنسي الرهيب.

٦. الانتحار.

(٤) أسباب انتقال العلمانية إلى العالم الإسلامي

بعد أن عرفنا الأسباب الرئيسة التي جعلت الغرب يثور على الكنيسة ويخلع رداء الدين، يجمل بنا أن نسأل أنفسنا، فنقول:

هل الظروف التي مر بها الغرب تنطبق على الإسلام حتى تنتقل إليه العلمانية أم لا؟

وبعبارة أخرى: هل هناك مسوغ لتنتقل العلمانية إلى بلاد المسلمين؟

والجواب بكل ثقة: لا.

فليس في الإسلام شيء من ذلكم الطغيان المقيت حتى يسوغ نقل العلمانية إلى بلاد المسلمين.

وإذا كان الأمر كذلك، فكيف انتقلت العلمانية إلى كثير من بلاد المسلمين؟

والجواب:

أن فكرة العلمانية بدأت تغزو العالم الإسلامي منذ زمن طويل لكنها لم تتمكن إلا في بداية القرن العشرين الميلادي، حين طبقت على أنقاض الخلافة العثمانية، ثم سرت إلى أكثر بلدان العالم الإسلامي، **وكانت هناك عدة عوامل رئيسة ساعدت على انتقال العلمانية إلى العالم الإسلامي، لعل من أبرزها (بإيجاز):**

أولاً: انحراف كثير من المسلمين عن العقيدة الصحيحة.

فقد كثرت البدع والخرافات والشعوذة والأهواء وقلَّ الفقه في الدين بين المسلمين، وترتب على هذا عدم قدرتهم على مواجهة جيوش المستعمرين التي كانت تغزوا بلادهم بالنار والأفكار.

ثانياً: الاستعمار للعالم الإسلامي.

فلم تنته الحربان العالميتان إلا وكثير من البلدان الإسلامية تحت سيطرت الاستعمار، الذي حرص على نشر العلمانية بأكثر من سبيل، ومما يدل على دور الاستعمار في نقل العلمانية إلى البلدان الإسلامية أن أول عمل قام به الإنجليز في الهند هو إلغاء الشريعة الإسلامية، وأول عمل قام به نابليون في مصر هو تعطيل الشريعة الإسلامية وإحلال القانون الفرنسي محلها، وأول عمل قام به المخطط اليهودي الصليبي في تركيا هو إلغاء الشريعة الإسلامية، ثم إعلان تركيا دولة لا دينية.

ثالثاً: الغزو الفكري.

وذلك بمحاولة إبعاد المسلمين عن دينهم بوسائل مختلفة، وتحت أسماء خادعة رقيقة مثل: "التغريب، التحديث أو الحداثة، التحضر، التغيير الاجتماعي، وعملت العلمانية في مجالاتها، وشقت طريقها في مجاريها".

رابعاً: المستشرقون.

اتخذ المستشرقون عدة طرق لعلمنة الإسلام عن طريق الثقافة والفكر، الذي خدع به طائفة من أبناء المسلمين، فقد زعموا أن الإسلام استنفذ أغراضه، وهو عبارة عن طقوس وشعائر روحية، وأنه لا يتلاءم مع الحضارة ويدعو إلى التخلف، وأخذوا يدعون إلى تحرير المرأة وفق الأسلوب الغربي، واقتباس الأنظمة والمناهج اللادينية عن الغرب ومحاكاته فيها، وتربية الأجيال تربية لا دينية، إلى غير ذلك.

خامساً: المنصّرون.

وقد نقل المنصّرون العلمانية من خلال نشراتهم وكتبهم ومن خلال التمثيليات، والأفلام، ومن خلال المدارس المختلفة التي بدأت بالأجنبية، ثم كان تأثيرهم على مناهج التعليم الوطنية.

سادساً: الأقليات غير المسلمة داخل المجتمعات الإسلامية.

وذلك كالنصارى، واليهود، والشيوعيين، وأصحاب الاتجاهات المنحرفة من جمعيات وأحزاب ونحوهم، وكل هؤلاء لا ينعمون بضلالتهم وانحرافهم وفسادهم إلا تحت شعار كشعار ما يسمى بالعلمانية، لذلك تضافرت جهودهم على نشرها وبثها، والدعاية لها، حتى انخدع بذلك كثيرون من السذج، وأنصاف المتعلمين من أبناء المسلمين.

سابعاً: تقدم الغرب في العلم المادي.

جعل كثيراً من أبناء المسلمين ينبهرون بذلك التقدم، ويعزونه إلى العلمانية، وصدّقوا دون تفكير مزاعم الكفار بأن الدين معوق للعلم، وظنوا أن بلادهم لا تتقدم حتى تفصل الدين –الإسلام– عن الدولة والحياة.

ثامناً: البعثات إلى الخارج.

في أوائل عصر البعثات العربية نفر طائفة من أبناء العرب طلباً للعلم والتقدم الموجود في الغرب، ولم تكن لديهم الحصانة العقدية الكافية، فعاد بعضهم بالعلمانية لا بالعلم، عادوا إلى بلدانهم وهم يحملون ألقاباً علمية كبيرة، أهلتهم لمناصب القيادة والتوجيه، ونظر الناس إليهم على أنهم قدوة، فأثروا في شعوبهم بما وفدوا به من أفكار علمانية.

وبعد زمن أصبحت بعض العواصم العربية المتأثرة بالفكر العلماني مراكز لتصدير العلماني للبلاد العربية الأخرى!.

(٥) أهداف العلمانية في العالم الإسلامي

إن أهم أهداف العلمانيين في العالم العربي والإسلامي، والتي يحاولون نشرها وإشاعتها بين شبابنا المسلم:

أولاً: الدعوة إلى فصل الدين عن الحياة تماماً، وقد نجحوا في ذلك إلى حد كبير.

ثانياً: الطعن في صلاحية الإسلام للحكم، وأنه مجرد طقوس وشعائر روحية، وأنه لم يعد صالحاً للعصر الحديث الذي نعيشه.

ثالثاً: الزعم بأن الإسلام يدعو إلى التخلف والجمود، ومن دلائل ذلك ما يفرضه على المرأة من الحجاب، وعدم الاختلاء بالأجانب، ووجوب المحرم في ظروف معلومة.

ثم يدعون إلى ما يسمونه تحرير المرأة من ظلام الرق والعبودية التي فرضها الإسلام عليها.

رابعاً: الدعوة إلى عدم اعتبار الإسلام وأحكامه في أية قضية من قضايا الحياة، وإطلاق شعار: "الدين لله، والوطن للجميع" وشعار: " لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين ".

(٦) أسس العلمانية

١- إقامة حاجز بين عالمي الروح والمادة، وإقامة الحياة على أساس مادي.

والعلمانيون بذلك يفرضون على المرء قوانين لا تناسب تكوينه الذاتي، ولا تلائم فطرته القائمة على التوازن بين المادية الروحية، فإنها تتعرض دائماً للتمرد والعصيان، الأمر الذي يدفعها دائماً إلى إعادة النظر في قوانينها ونظمها وتغيير مناهجها، وذلك من أجل تقبل الناس لها ومحاولة للتوازن والتوافق.

٢- فصل الدين عن السياسة وإقامة الحياة على أساس مادي.

وهم بذلك فتحوا المجال للانتماءات الطبقية والوضعية والقومية والمذهبية وغيرها.

والهدف من وراء هذا الفصل هو هدم العقيدة الصحيحة، وإخراج الناس من نور الإيمان إلى ظلام الكفر والإلحاد، وإحلال النظم الوضعية محل النظم الإلهية.

٣- تطبيق مبدأ النفعية (البراجماتية) على كل شيء.

البراجماتية تقوم على إنكار ألوهية الإله؛ بل وإنكار وجوده، وتنكر الدين والأخلاق، وتجعل المنفعة المادية العاجلة وحدها المسيطرة على هذا المذهب وهي أساس أي عمل أو فكرة، وتجعل مصحلة الإنسان لنفسه فوق مصالح الآخرين حتى ولو أضر بهم.

وهذا على نقيض ما جاء به الإسلام، حيث كفل الخير والصلاح لكل الناس؛ بل إن المصالح والمنافع في ديننا الحنيف يسودها المحبة والتعاون والإيثار، ابتغاء المثوبة والأجر من الله تعالى.

٤- الاعتماد على مبدأ الميكيافيلية في فلسفة الحكم والسياسة والأخلاق.

وهو مبدأ يقوم على أن (الغاية تبرر الوسيلة) مهما كانت الوسيلة منافية للدين والأخلاق، ومهما كانت حسنة أو سيئة.

وقد أعطى ميكافلي (صاحب كتاب الأمير) الشرعية للوسائل الخسيسة التي يستخدمها الحاكم من كذب وغش وخديعة وقتل وسفك دماء.

والقرن العشرون خير نموذج لما نقول، فقد قامت في هذا القرن أبشع دكتاتوريات التاريخ !

واتخذ المنحرفون هذا الاتجاه سبيلاً إلى الإفساد في الأرض، والاستهانة بالفضائل الإنسانية والأخلاق الربانية؛ ليحققوا غايات فردية أو جماعية، أودت بمن أخذ بها من الشعوب والأمم إلى الدمار العام والشامل.

فالأرض أمست كلها مجال لمؤامرات ودسائس بغير حساب.

أرادوا انقلاباً هنا... وأرادوا تغيراً هناك ! .. وسرعان ما تنقلب الأرض وتتغير الأحوال !

والوسائل كلها حلال، الكذب والغش والتصفية الجسدية وشراء الضمائر بالمال، المهم أن تنفذ الغاية.. والغاية والوسيلة كلتاهما غارقتان في الأوحال !

٥- نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية وتهديم كيان الأسرة.

تحررت المرأة فتحللت من القيود كلها، وفي مقدمتها الدين وقيود الأخلاق، وطالبت بالمساواة مع الرجل فرفضت أن يكون قيماً عليها؛ لأن القوامة لا تصلح بين الأنداد !.

واشتغلت فانشغلت عن مهمتها الأولى في تربية النشء، وتفككت الأسرة وانحل البيت وتشرد الأطفال، وتكونت منهم عصابات جانحة، وترتكب الجرائم لمجرد سد الفراغ، وانحلت روابط المجتمع... وانتشر الشذوذ لأسباب كثيرة.

هذه هي العلمانية التي أرادوها وأرادوا نشرها في مجتمعاتنا العربية والإسلامية.

(٧) موقف العلمانية من الإسلام

لا تقف العلمانية من الإسلام موقفاً محايداً، ولا يمكن أن تكون محايدة كما زعم بعض العلمانيين العرب، فهذا بالنسبة للإسلام مستحيل.

إن الإسلام يواجهها بشموله لكل جوانب الحياة الإنسانية: مادية ومعنوية، فردية واجتماعية، وهي لا تسلم له بهذا الشمول، فلا مفر من الصدام بينهما في كل شعبة من شعب تعاليمه الأربع الرئيسة: العقائد، والعبادات، والأخلاق، والتشريع، وإلى شيء من البيان.

أولا: موقفها من العقيدة.

قد تقبل العلمانية عقيدة الإسلام نظرياً (كلامياً)، ولا تنكر على الناس أن يؤمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر، انطلاقا من مبدأ الحرية الدينية لكل إنسان، فهذا حق من حقوقه، أقرته المواثيق الدولية، ومضت عليه الدساتير الحديثة.

ولكن الإسلام في داره "دار الإسلام"، لا يكتفي بأن تكون عقيدته مجرد شيء مسموح به، لا غبار على من آمن بها، كما لا حرج على من تركها.

إنه يريد أنتكون عقيدته روح الحياة، وجوهر الوجود، وملهم أبناء المجتمع، وأن تكون أساس التكوين النفسي والفكري لأفراد الأمة، وبعبارة أخرى، تكون محور التربية والثقافة، والفن والأعلام، والتشريع والتقاليد في المجتمع كله.

وهذا ما لا تريده العلمانية، ولذا تجدها ترفض مستلزمات العقيدة من معتنقيها، وما توجبه على أبنائها إيجاباً حتماً، بمقتضى الإيمان، وذلك بين واضح في أمرين أساسيين:

١- رفضها اتخاذ العقيدة أساساً للانتماء والولاء، فهي لا تقيم للرابطة الدينية وزناً؛ بل تقدم عليها رابطة الدم والعنصر، ورابطة التراب والطين، وأي رابطة أخرى.

وهذا مناقض تماماً لتوجيه القرآن، الذي يقيم الأخوة على أساس الإيمان والعقيدة، (إنما المؤمنون إخوة) [الحجرات:١٠]، والذي يجعل ولاء المؤمن -قبل كل شيء- لله ورسوله وجماعة المؤمنين، ويلغي كل رابطة مهما يكن قربها وقوتها، إذا تعارضت مع رابطة الإيمان.

٢- رفضها ما توجبه العقيدة الإسلامية على أبنائها، من النزول على حكم الله ورسوله، والتسليم لهما، دون تردد أو حرج.

وهذا هو موجب الإيمان، ومقتضى الالتزام بعقيدة الإسلام، يقول الله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة، إذا قضى الله ورسوله أمرا، أن يكون لهم الخيرة من أمرهم، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) [الأحزاب:٣٦]، ويقول سبحانه: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت، ويسلموا تسليما) [النساء:٥٦].

فالعقيدة الإسلامية تفرض على المسلم أن يكيف حياته، وفقاً للأحكام التي تجسدها، وأن يتجلى أثرها في سلوكه وعلاقاته كلها، سواء كان حاكماً أم محكوماً.

ولكن العلمانية تريد من العقيدة أن تظل حبيسة الضمير، لا تخوض معترك الحياة، ولا تؤثر في أهدافها ومناهجها، فإن سمح لها بالظهور، فليكن بين جدران المسجد، لا تخرج عنها، على أن يكون المسجد نفسه تحت سلطانها.

ثانياً: موقفها من العبادة.

قد لا ترفض العلمانية الإسلام، باعتباره عبادة وشعائر، يتقرب بها الإنسان إلى ربه، بناء على أن ذلك جزء من الحرية الدينية، ولكنها:

١- لا تجعل لهذه العبادة أهميتها، باعتبارها غاية الحياة، والمهمة الأولى للإنسان (وما خلقت الجن والإنس، إلا ليعبدون) [الذاريات:٥٦]، ولا تقيم نظامها التربوي والثقافي والإعلامي على غرس هذا المعنى، وتثبيته، وتعهده، حتى يؤتي أكله.

٢- لا تنظم الحياة الاجتماعية والاقتصادية تنظيماً، ييسر على المسلم أداء عبادته، بغير عوائق، ولا ضغوط، بحيث لا تتعارض أنظمة العمل والدراسة وغيرها، ومواقيتها مع مواقيت العبادة المفروضة.

٣- لا تجعل للالتزام بفرائض العبادات أو إهمالها، مكانا لتقديم الناس وتأخيرهم، وخصوصاً عند الترشيح لمناصب القيادة، وجلائل الأعمال، على أساس مقولة خاطئة: هي التفرقة بين السلوك الشخصي والسلوك الاجتماعي للإنسان، وهو مالا يقول به الإسلام.

٤- لا ترى المجاهرة بترك العبادات، التي هي أركان الإسلام العملية كالصلاة وإفطار رمضان، شيئاً يوجب المحاسبة أو المؤاخذة.

٥- لا تعتبر الزكاة جزءا من نظامها المالي والاقتصادي والاجتماعي، تؤخذ من الأغنياء لترد على الفقراء؛ بل تعتبرها عبادة شخصية، من شاء أداها، وعليه عبء الضرائب الوضعية كاملا، ومن شاء أعرض عنها، ولا حرج عليه، ولا ملامة!

ثالثاً: موقفها من الأخلاق.

ربما يبدو لأول وهلة أن العلمانية لا اعتراض لها على الجانب الأخلاقي في الإسلام، ولكن عند التأمل والتحقيق، نجد بينهما خلافا أكيدا في موضعين:

١- في مجال العلاقة بين الجنسين، حيث تتميز الأخلاق الإسلامية هنا، عن أخلاقيات الحضارة الغربية، التي يتبع سننها العلمانيون، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع.

فالإسلام -وإن كان لا يصادر هذه الغريزة ولا يعطلها، أو يعتبرها في ذاتها قذارة ورجساً-يأمر بتصريفها في نطاق الزواج المشروع، الذي به يجد كل من الزوجين السكينة والمودة والرحمة، وبهذا تتكون الأسرة، التي هي نواة المجتمع الراقي.

ويحرم أي اتصال جنسي، خارج هذه الدائرة، ويعتبره من الزنا أو الشذوذ، الذي يجلب سخط الله تعالى، ويشيع الانحلال والفساد في المجتمع.

٢- لا تحب العلمانية ربط الأخلاق بالدين، وإنما تريد أن تقيمها على أساس فلسفي أو عملي، بعيداً عن الدين، وترغيبه وترهيبه، فالأخلاق "الدينية" عندهم في موضع الاتهام، أما "الأخلاق المدنية" فهي أقوم قيلاً، وأهدى سبيلاً.

رابعاً: موقفها من الشريعة.

الشريعة الإسلامية هي التي تنقل الإسلام من عالم النظريات والمثاليات إلى دنيا الواقع والتنفيذ، وهي التي تهيئ للمجتمع سياجاً من القوانين يحميه من عدوان العادين، وهي التي تردع من لم يرتدع بوازع الإيمان.

والعلمانية لا تحبذ ذلك، وتقف من الجانب التشريعي موقفاً مضاداً، فمثلاً:

١- ترى العلمانية أن التشريع للمجتمع من حقها هي، وليس من حق الإسلام أن يحكم ويشرع، ويحلل ويحرم، أي أنها تغتصب حق التشريع المطلق من الله الخالق، وتعطيه للإنسان المخلوق.

٢- وإذا تسامحت العلمانية، واعترفت لله بحق التشريع، فإننا نجدها تعطي الإنسان حق النسخ لما شرع الله، بدعاوى باطلة ما أنزل الله بها من سلطان، فهي تحل ما حرم الله، وتحرم ما أحل الله، وتسقط ما فرض الله، وتعطل ما شرع الله.

٣- تقبل العلمانية القانون الوضعي وترفض قوانين الشريعة.

وبعد؛ فإن "الشريعة" هي العدو الأول للعلمانيين في البلاد الإسلامية، وأشد ما تكون عداوة العلمانيين للشريعة، فيما كان مضادا لاتجاه الحضارة الغربية، وفلسفتها في التشريع، والنظرة إلى الفرد والمجتمع، وذلك مثل: تحريم الربا في القانون المدني، أو تحريم الزنا والسكر في القانون الجنائي، أو تحديد الجزاء على الجرائم، بعقوبات بدنية مثل: الجلد، والقطع، ونحو ذلك.

(٨) موقف الإسلام من العلمانية

يتنافى الإسلام مع العلمانية ويرفضها، لأن العلمانية:

١- تغفل طبيعة الإنسان البشرية باعتباره مكوناً من جسم وروح؛ فتهتم بمطالب جسمه، ولا تلقى اعتباراً لأشواق روحية.

٢- نبتت في البيئة الغربية وفقاً لظروفها التاريخية والاجتماعية والسياسية، وتعتبر فكراً غربياً في بيئتنا الشرقية.

٣- تفصل الدين عن الدولة، فتفتح المجال للفردية والطبقية والعنصرية والمذهبية والقومية والحزبية والطائفية.

٤- تفسح المجال لانتشار الإلحاد وعدم الانتماء والتغريب والتفسخ.

٥- تجعلنا نفكر بعقلية الغرب، فلا ندين العلاقات الحرة بين الجنسين وندوس على أخلاقيات المجتمع، وتفتح الأبواب على مصراعيها للممارسات الدنيئة، وتبيح الربا وتعلي من قدر الفن للفن، ويسعى كل إنسان بإسعاد نفسه.

٦- تنقل إلينا أمراض المجتمع الغربي، من إنكار الحساب في اليوم الآخر، ومن ثم تسعى لأن يعيش الإنسان حياة متقلبة منطلقة من قيد الوازع الديني، مهيجة الغرائز الدنيوية كالطمع والمنفعة، وتنازع البقاء، ويصبح صوت الضمير عدماً.

٧- مع ظهور العلمانية يتم تكريس التعليم لدراسة ظواهر الحياة الخاضعة للتجريب والمشاهدة، وإهمال أمور الغيب من الإيمان بالله والبعث والثواب والعقاب، وينشأ بذلك مجتمع غايته متاع الحياة وكل لهو رخيص.

حكم الإسلام في العلمانية:

الإسلام عقيدة تنظم علاقة الإنسان بربه، وشريعة تدير جميع شئون الحياة كلها.

وقد شملت أوامر الله ونواهيه حياة الإنسان كلها في مختلف جوانبها، فحياة المسلم كلها سواء كانت عقدية، أو اجتماعية، أو تربوية، أو اقتصادية، أو سياسية، شملتها أحكام الله، حيث وضع لها أصولاً للتعامل معها، وجاء ذلك مفصلاً في كتاب الله تعالى قال تعالى: (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) [النحل:٨٩].

ويمكن تفصيل حكم الإسلام من العلمانية فيما يلي:

١- في الجانب العقدي تعني العلمانية التنكر للدين وعدم الإيمان به، وترك العمل بأحكام الإسلام، وحدوده، واعتقاد ذلك يعد كفراً صريحاً.

٢- وفي الجانب التشريعي تعني العلمانية فصل الدين عن الدولة؛ بل بالأحرى فصل الدين عن الحياة كلها، أي الحكم بغير ما أنزل الله تعالى.

وقد فصّل العلماء الحكم فيمن يحكم بغير ما أنزل الله تعالى على النحو الآتي:

أ- إذا وقع الحكم بغير ما أنزل الله تعالى والحاكم – سواء كان فرداً أو مجموعة – يرى أن حكم الله غير صالح أو غير جدير، أو أن حكم القوانين أصلح وأتم وأشمل لما يحتاجه الناس، أو أن حكم القوانين مساوية لحكم الله ورسوله ﷺ، أو اعتقد جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله ﷺ ونحو ذلك فهو كفر اعتقاد مخرج عن الملة.

ب- وإذا وقع الحكم عن جهل أو ضعف، أو لهوى في نفس صاحبه، أو لغرض دنيوي، مع الاعتقاد بأن حكم الله ورسوله ﷺ أحق وأصلح وأجدر، وأنه أفضل من القوانين الوضعية فهذا كفر عملي، وهو فسق وظلم تقام الحجة على صاحبه، ويبين له الحق، ويجب على المسلم أن يتوب إلى الله تعالى، ويرجع إليه.

٣- ومن الجانب الأخلاقي تعني العلمانية: الانفلات والفوضى في إشاعة الفاحشة والرذيلة والشذوذ، والاستهانة بالدين والفضيلة، وسنن الهدى وهذا ضلال مبين وفساد في الأرض، ومن العلمانيين من يرى أن السنن والآداب الشرعية والأخلاق الإسلامية إنما هي تقاليد موروثة، وهذا تصور جاهلي منحرف.

والعلمانيون في العالم الإسلام يُعرفون بالاستهانة بالدين، والتهكم والاستهزاء بالمتمسكين به، كما يعرفون بإثارة الشبهات، وإشاعة الفواحش (كالسكر، والتبرج والاختلاط المحرم) ونشر الرذائل ومحاربة الحشمة والفضيلة، وحدود الشرعية، والاستهانة بالسنن، كما يعرفون أيضاً بحب الفساق والكفار والإعجاب بمظاهر الحياة الغربية وتقليدها.

وبعد،

فإن العلمانية دعوة مرفوضة في الإسلام؛ لأنها دعوة إلى تحكيم الطواغيت، والقوانين الوضعية، وهذا مخالف لأمر الله تعالى وأمر رسوله.

ونختم بكلام دقيق لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز –رحمه الله– إذ يقول: "ويدخل في القسم الرابع –أي من نواقض الإسلام– **من اعتقد أن الأنظمة والقوانين التي يسنها الناس، أفضل من شريعة الإسلام، أو أنها مساوية لها، أو أنه يجوز التحاكم إليها، ولو اعتقد أن الحكم بالشريعة أفضل، أو أن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين، أو أنه كان سبباً في تخلف المسلمين، أو أنه يحصر في علاقة المرء بربه دون أن يتدخل في شؤون الحياة الأخرى..أيضاً من يرى أن إنفاذ حكم الله في قطع يد السارق، أو رجم**

الزاني المحصن لا يناسب العصر الحاضر.. وكل من اعتقد أنه يجوز الحكم بغير شريعة الله في المعاملات، أو الحدود، أو غيرهما، وإن لم يعتقد أن ذلك أفضل من حكم الشريعة؛ لأنه بذلك يكون قد استباح ما حرم الله إجماعاً، وكل من استباح ما حرّم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة، كالزنا، والخمر، والربا، والحكم بغير شريعة الله فهو كافر بإجماع المسلمين.

ونسأل الله أن يوفقنا جميعاً لما يرضيه، وأن يهدينا وجميع المسلمين صراطه المستقيم، إنه سميع قريب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه".

القومية

القومية

تمهيد

عرفت أوربا فكرة القومية في العصر الحديث، ثم تخلّت عنها بعد أن اكتوت بنارها؛ لينقلها رجالها بعد ذلك إلى الأمة الإسلامية، فظهرت القومية الطورانية، والقومية العربية، والقومية الكردية، والقومية الفارسية.

القومية العربية مكيدة من المكائد، ومؤامرة من المؤامرات، ومعول من معاول الهدم التي صنعها أعداء الإسلام من الغربيين؛ لتفريق المسلمين وإضعافهم.

وسنتناول القومية من خلال العناصر الآتية:

١- تعريف القومية.

٢- تاريخ القومية.

٣- آثار القومية على العالم الإسلامي.

٤- موقف الإسلام من الدعوة إلى القومية.

(١) تعريف القومية

القومية في اللغة:

مشتقة من أصل كلمة (قَوْم)، وهم الجماعة الذين تجمع بينهم رابطة معينة.

والقوم: الجماعة من الرجال والنساء جميعاً، وقد غلب على الرجال دون النساء، وقوم كل رجل شيعته وعشيرته.

وهي ترجمة لكلمة nationalism المستعملة في اللغات الأوروبية.

القومية في الاصطلاح:

معناها أنّ أبناء الجنس الواحد، واللغة الواحدة، ينبغي أن يكون ولاؤها واحداً، وإن تعدّدت أرضهم، وتباينت أوطانهم.

كما عرّفت بأنها: فكر يدعو إلى الولاء لأمر معين، يعايش من أجله ويدافع عنه ويخلص له بدلاً من الدين، سواء كان جنساً، أو لغةً، أو أصلاً، أو تاريخاً.

وعرفت القومية العربية بأنها:

حركة سياسية فكرية متعصبة، تدعو إلى تمجيد العرب، وإقامة دولة موحدة لهم، على أساس من رابطة الدم واللغة والتاريخ، وإحلالها محل رابطة الدين، وهي صدى للفكر القومي الذي سبق أن ظهر في أوروبا.

(٢) تاريخ القومية

ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين الميلادي، متمثلة في:

- بدأت كحركة سرية تألفت لها الجمعيات ، وهي جمعية الآداب والعلوم عام ١٨٤٧م في جبل لبنان، وكان من أعضائها المؤسسين:

المنصر سميث وفانديك، ومعهما إبراهيم اليازجي، وبطرس البستاني، وكلاهما من نصارى لبنان.

- ثم باتت حركة علنية في جمعيات أدبية تتخذ من دمشق وبيروت مقراً لها، وهي الجمعية العلمية السورية عام ١٨٦٨م، وأنشئت هذه الجمعية بتوجيه وحماية إرساليات التبشير الأمريكي.

وقد تبنت الجامعة الأمريكية بعد ذلك الدعوة إلى هذه الفكرة الخبيثة، يقول مايلز كوبلاند (مسؤول المخابرات الأمريكية في الشرق الأوسط): "في الجامعة الأمريكية في بيروت ولدت فكرة القومية العربية وترعرع دعاتها، حتى أن أكثر من ٩٠% من الدعاة للقومية العربية من خريجي الجامعة الأمريكية".

- وفي المؤتمر العربي الأول في باريس عام ١٩١٢م، والذي شجعته السلطة الفرنسية، وفتحت له القاعة الكبرى للجمعية الجغرافية ليعقد فيها جلسته ... وفي هذا المؤتمر طرحت ولأول مرة أطروحات مناقضة للدين، حيث تجرأ رئيس المؤتمر عبد الحميد الزهراوي فقال:" إن الرابطة الدينية قد عجزت دائماً عن إيجاد الوحدة السياسية. وأنا لا أرجع إلى التاريخ لأبرهن هذا؛ بل حسبي ما لدينا من الشواهد الحاضرة. أنظر إلى الحكومتين (العثمانية والفارسية) كيف لم تقدر رابطتها الدينية على إزالة اختلاف بسيط بينهما وهو الاختلاف المتعلق بالحدود".

وهكذا بدأت الفكرة القومية ترتدي الطابع العقدي الاستعلائي العنصري، على نحو ما آلت إليه القوميات الأوروبية بل أشد وأعتى.. جاء على لسان (علي ناصر الدين) أحد رواد القومية العربية قوله: "القومية بالنسبة إلينا نحن القوميين العرب دين له جنته وناره ولكن في الدنيا" .

وعلى لسان عمر فاخوري قوله: "لا ينهض العرب حتى تصبح القومية العربية أو المبدأ العربي ديناً يغارون عليه، كما يغار المسلمون على القرآن الكريم، والمسيحيون على الإنجيل الرحيم".

وكان أول من نادى بالقومية العربية هم نصارى لبنان و سوريا- الذين كانوا جزءا من أدوات أوربا في تحقيق أغراضها في العالم الإسلامي-، وانضم إليهم المسلمون الذين تربوا في مدارس التبشير، ثم انضم إليهم المستغفلون من المسلمين، الذين لم يجدوا تعارضاً بين الإسلام والعروبة، على أساس أن العروبة هي عصب الإسلام، وأن العرب هم الذين حملوا الإسلام إلى البشرية.

هذا وقد ضلت الدعوة إلى القومية العربية محصورة في نطاق الأقليات الدينية غير المسلمة، وفي عدد محدود من أبناء المسلمين الذين تأثروا بفكرتها، ولم تصبح تياراً شعبياً عاماً إلا حين تبنى الدعوة إليها الرئيس المصري جمال عبد الناصر، حين سخر لها أجهزة إعلامه وإمكانيات دولته.

ويمكن أن نقول إنها الآن تعيش فترة انحسار أو جمود على الأقل.

ويعد ساطع الحصري (١٨٨٠-١٩٦٨م) داعية القومية العربية، وأهم مفكريها، وأشهر دعاتها، وهو رجل أعجمي لا يستطيع الكلام بالفصحى ويضمر عداءً شديداً؛ وله مؤلفات كثيرة تعد الأساس الذي يقوم عليه فكر القومية العربية، ويأتي بعده في الأهمية مشيل عفلق زعيم حزب البعث العربي الاشتراكي.

إن الوحدة الإسلامية بوجود الخلافة التي يدين لها أكثر المسلمين بالولاء والطاعة من الأمور التي جاهد أعداء الأمة للقضاء عليها.

وخوف الغرب من الوحدة الإسلامية العربية —رغم ضعف المسلمين في القرون الأخيرة– أشد من خوفه من أي شيء آخر.

(٣) آثار القومية على العالم الإسلامي

إن القومية تضيق على الإنسان عالمه حين تصرفه عن النظرة العالمية الإنسانية إلى نظرة عرقية، وجزئية جغرافية، ومصالح قومه المادية، الأمر الذي يدفعها –حال قوتها– إلى الاعتداء على غيرها من القوميات؛ لتوسيع رقعتها وفرض سلطانها.

إن القومية تنبذ ما للإنسان فيه اختيار كالإيمان بالله وما جاء به رسل الله عليهم السلام، إن فكرة القومية تقوم على أمور لا خيار للإنسان فيها، من المولد في أرض معينة، والكلام بلغة الأرض والمجتمع الذي ولد فيه، وعلى المصالح المادية البحتة...إلخ.

وظلت هذه الآثار السيئة الناجمة عن نعرة القومية والوطنية التي بدأتها أوربا، ثم قامت بتصديرها إلى الشرق الإسلامي؛ لتحارب المسلمين من الداخل، وتزعزع العقيدة في نفوسهم.

وقد شجَّعت الدول الأوربية الكبرى على ظهور القومية العربية في صورتها العلمانية؛ لتحقيق مطامعها في احتلال الشرق الإسلاميّ ، وخاصةً بريطانيا وفرنسا.

ويمكن إيجاز آثار القومية على العالم الإسلامي في النقاط الآتية:

١– إقصاء الإسلام، وتفريغ القضية السياسية والاجتماعية بوجه عام من المحتوى الإسلامي، وإحلال فلسفة أخرى، وعقيدة أخرى محل عقيدته.

٢– استبدال رابطة الإسلام برابطة القومية؛ لعزل الشعوب الإسلامية بعضها عن بعض عزلاً نهائيا؛ بحيث تكون صلة بعضها ببعض كصلتها بأي شعب من الشعوب الأخرى التي تدين بالوثنية أو الماركسية أو غيرها، والتي لم تكن تربطها بها أيّ رابطة.

٣– قطع الصلات بين الشعوب الإسلامية، وإضعاف روابط الثقافة المشتركة، ولغة القرآن، والقيم الخلقية، والقضاء على الأخوة الإسلامية.

٤– أنه خير معين للدول الأوربية الكبرى على تحقيق مطامعها واحتلال الشرق الإسلامي.

٥- أنها وسيلة من وسائل الغزو الفكري للإسلام والمسلمين، وهي تعني عندهم:
رفع شعار وطني يمكن به جمع من الناس من أن يتوحدوا عليه في ظل حكومة مركزية، كما فعل نابليون عندما استحدث القومية الإيطالية، والقومية الألمانية.

٦- أنها شعار بديل عن الشعار الإسلامي، الذي تجمعت له جموع كثيرة لرفع الراية الإسلامية، فكانت القومية العربية صرفاً للشعوب عن الراية الإسلامية.

(٤) موقف الإسلام من الدعوة إلى القومية

الدعوة إلى القومية العربية أو غيرها من القوميات، دعوة باطلة وخطأ عظيم، ومنكر ظاهر، وجاهلية مقيتة، وكيد سافر للإسلام وأهله.

والإسلام يحارب القومية باعتبارها عصبية جاهلية، أنكرها الإسلام وحذر منها، وسد منافذها، فلا بقاء للدين العالمي والأمة الواحدة مع هذه العصبية الممقوتة.

الإسلام يرفض القومية بكل صورها، وذلك لوجوه أربعة:

الأول: أن الدعوة إلى القومية العربية تفرق بين المسلمين.

فتفصل المسلم العجمي عن أخيه العربي، وتفرق بين العرب أنفسهم ؛ لأنهم كلهم ليسوا يرتضونها، وإنما يرضاها منهم قوم دون قوم، وكل فكرة تقسم المسلمين وتجعلهم أحزابا فكرة باطلة، تخالف مقاصد الإسلام وما يرمي إليه؛ وذلك لأنه يدعو إلى الاجتماع والوئام، والتواصي بالحق والتعاون على البر والتقوى، كما قال تعالى: ((وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)) [آل عمران :١٠٣].

أن هدف القومية غير هدف الإسلام، وأن مقاصدها تخالف مقاصد الإسلام، ويدل على ذلك أيضا أن هذه الفكرة، أعني الدعوة إلى القومية العربية وردت إلينا من أعدائنا الغربيين، وكادوا بها المسلمين، ويقصدون من ورائها فصل بعضهم عن بعض، وتحطيم كيانهم، وتفريق شملهم، على قاعدتهم المشؤومة (فرق تسد) وكم نالوا من الإسلام وأهله بهذه القاعدة النحيسة، مما يحزن القلوب ويدمي العيون.

الوجه الثاني: أن الإسلام نهى عن دعوى الجاهلية وحذر منها.

بل قد جاءت النصوص تنهى عن جميع أخلاق الجاهلية، وأعمالهم إلا ما أقره الإسلام من ذلك.

ولا ريب أن الدعوة إلى القومية العربية من أمر الجاهلية، لأنها دعوة إلى غير الإسلام ومناصرة لغير الحق، وكم جرت دعوى الجاهلية على أهلها من ويلات وحروب طاحنة، وقودها النفوس والأموال والأعراض، وعاقبتها تمزيق الشمل وغرس العداوة والشحناء في القلوب والتفريق بين القبائل والشعوب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسب أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة: فهو من عزاء الجاهلية؛ بل لما اختصم مهاجري وأنصاري، فقال المهاجري: يا للمهاجرين، وقال الأنصاري: يا للأنصار، قال النبي ﷺ:(أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم وغضب لذلك غضبا شديدا)".

وفي سنن أبي داود، عن النبي ﷺ أنه قال: (ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية) وفي صحيح مسلم أنه قال: (إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد).

وعن النبي ﷺ أنه قال: (إن الله قد أذهب عنكم عصبية الجاهلية وفخرها بالآباء، إنما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي، الناس بنو آدم وآدم خلق من تراب، ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى).

الوجه الثالث: أن القومية سلم إلى موالاة كفار العرب وملاحدتهم.

بل واتخاذهم بطانة، والاستنصار بهم على أعداء القوميين من المسلمين وغيرهم، ومعلوم ما في هذا من الفساد الكبير، والمخالفة لنصوص القرآن والسنة، الدالة على وجوب بغض الكافرين من العرب وغيرهم، ومعاداتهم وتحريم موالاتهم واتخاذهم بطانة، والنصوص في هذا المعنى كثيرة منها قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ) [المائدة :٥٢] الآية.

الوجه الرابع: أن الدعوة إلى القومية والتكتل حول رايتها يفضي بالمجتمع إلى رفض حكم القرآن.

لأن القوميين غير المسلمين لن يرضوا تحكيم القرآن، فيوجب ذلك لزعماء القومية أن يتخذوا أحكاما وضعية تخالف حكم القرآن، حتى يستوي مجتمع القومية في تلك الأحكام، وقد صرح الكثير منهم بذلك كما سلف، وهذا هو الفساد العظيم، والكفر المستبين والردة السافرة، كما قال تعالى: (فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا).

وقال سبحانه: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) [المائدة : ٥٠]، وقال سبحانه وتعالى: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) [المائدة :٤٤]، وقال تبارك وتعالى: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [المائدة :٤٥]، وقال تباركت أسماؤه: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) [المائدة :٤٧].

فالواجب على زعماء القومية ودعاتها، أن يحاسبوا أنفسهم ويتهموا رأيهم، وأن يفكروا في نتائج دعوتهم المشؤومة، وغاياتها الوخيمة، وأن يكرسوا جهودهم للدعوة إلى الإسلام ونشر محاسنه والتمسك بتعاليمه والدعوة إلى تحكيمه بدلا من الدعوة إلى قومية أو وطنية.

وليعلموا يقينا أنهم إن لم يرجعوا إلى دينهم ويستقيموا عليه ويحكموه فيما شجر بينهم، فسوف ينتقم الله منهم، ويفرق جمعهم، ويسلبهم نعمته، ويستبدل قوما غيرهم، يتمسكون بدينه ويحاربون ما خالفه كما قال تعالى: (وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) [محمد :٣٨].

الماسونية

الماسونية

في قصة الصراع بين المذاهب والأفكار، وعندما يتاح للشر أن يطارد الحق وأن يتآمر على أهله، تقوى الحاجة للعمل السري، وخاصة في مراحل الكمون والإعداد.

وأصحاب الخلق الملتوي والعمل النهاز يجدون ضالتهم ويستهدفون تحقيق مطامعهم بالانضواء تحت لواء العمل السري.

وتجربة اليهود في هذا المضمار لها صوت بأطوار من الأفكار والمعتقدات والممارسات، استطاعت من خلالها توسيع دائرة العمل السري وتجديد ممارساته.

وكلما استنفد العمل أسلوبا جددت الأجيال اليهودية له دمه ولحمه، وأعطته مذاقا اختلفت معه مراحل التطور التنظيمي عند اليهود جيلا بعد جيل، وإن كانت الغايات واحدة والأهداف محددة.

والماسونية واحدة من أهم وأذكى عمليات اليهود ضد بني الإنسان، ذلك أنها اعتمدت منذ نشأتها على السرية والدقة والضبط والعمل المنظم.

وسنتناول الماسونية من خلال العناصر الآتية:

١- تعريف الماسونية.

٢- الفرق بين الصهيونية والماسونية

٣- تاريخ الماسونية.

٤- المنظمات الصهيونية

٥- شعارات ورموز الماسونية

٦- طبقات الماسونية.

٧- موقف علماء المسلمين من المنظمات المشبوهة.

(١) تعريف الماسونية

هي منظمة يهودية صهيونية سرية، تهدف إلى سيطرة اليهود على العالم، وتدعو إلى نشر الإلحاد والفوضى في العالم.

وهي من أقدم المنظمات اليهودية التي بثها اليهود أينما حلوا في أقطار الأرض، لتكون مثوى اجتماعاتهم التي يتناقشون فيها ويتبادلون الرأي والمعلومات.

(٢) الفرق بين الصهيونية والماسونية

الصهيونية قرينة الماسونية، إلا أن الصهيونية يهودية في شكلها وأسلوبها ومضمونها وأشخاصها، وتخدم أهداف اليهود بطريق مباشر، فهي الجهاز التنفيذي الرسمي لليهودية العالمية.

أما الماسونية فهي يهودية مبطنة تظهر شعارات إنسانية عامة وقد ينطوي تحت لوائها غير اليهودي، وهي حركة علمانية إلحادية سرية، تخدم اليهود بطريق غير مباشر.

إنها القوة الخفية التي تهيئ الظروف والأوضاع لليهود؛ ولذلك تستخدمها الصهيونية لتحقيق أهدافها.

ويكفي لبيان الصلة الوثيقة بين الماسونية والصهيونية أن بروتوكولات صهيون –الدستور الصهيوني– قد صدرت مذيلة بإمضاء ثلاثمائة من كبار الماسونيين الحائزين للدرجة الثالثة والثلاثين الماسونية.

(٣) تاريخ الماسونية

لا يزال منشأ الماسونية طي الكتمان، بل لغزا من الألغاز الغامضة.

ورغم ذلك فإن تاريخ الماسونية الذي تتداوله معارف الماسونيين ينبئ عن أصالتها الدينية اليهودية، فهم يزعمون أن الملك سليمان (عليه السلام) كان الأستاذ الأعظم في محفل القدس، كما عثر على مخطوطة يرجع تاريخها إلى القرن الخامس عشر الميلادي، ويستدل منها على أن الماسونية دخلت إنجلترا على يد اليهود في مصر والقدس.

(٤) المنظمات الماسونية

أولا: المنظمات اليهودية العلنية:

سارع اليهود بإنشاء جمعيات يهودية سافرة في عدة أقطار، مثلاً:

١- جمعية عشاق صهيون التي أنشئت في أوديسا سنة ١٨٨٢ م (١٢٩٨ هـ).

٢- جمعية صهيون النمسوية التي تولى رئاستها تيودور هرتزل.

وبمجهود هرتزل التأم أول مؤتمر عالمي في مدينة بال بسويسرا في ٢٩ أغسطس ١٨٩٧م، يضم أقطاب اليهود من أقطار الدنيا حيث توفروا على توحيد جهودهم، والسعي لتحقيق آمالهم.

وبالنظر لنجاح المؤتمر من وجهة النظر الصهيونية فقد تقرر عقده بصفة دورية، وأنشئت المنظمة الصهيونية العالمية في ألمانيا تنفيذا لقرار ذلك المؤتمر، وهذه المنظمة هي أعلى سلطة تشرف على النشاط الصهيوني بمختلف صوره وأدواته، وتتولاه بالتوجيه والتمويل والمتابعة، دعما لإسرائيل باعتبارها محور هذا النشاط وهدفه الأول.

وإلى جانب هذه المنظمة يقوم المؤتمر اليهودي العالمي ويمثل الهيئة العليا التي تتولى شتات اليهود بالرعاية، وتهيئ لهم السيطرة على أنحاء المعمورة، وتعمل على إنشاء الحكومة العالمية..

وقد باشرت المنظمة الصهيونية مهمتها إلى عام ١٩٢٩م، حيث تكونت الوكالة اليهودية في فلسطين وحلت محلها، فلما أعلن قيام دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨م تكونت الحكومة اليهودية من بين أعضاء الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية.

ومن المنظمات اليهودية العلنية السافرة أيضاً:

١- منظمة بناي بريث، ومهمتها الدعوة اليهودية وجمع التبرعات لإسرائيل.

٢- منظمة الهداسا النسائية الصهيونية، ومقرها نيويورك ولها فرع في مدينة القدس، ويشمل نشاطها الشئون الطبية، وتقوم بالإشراف على جمع التبرعات لتمويل النشاط الصهيوني

٣- منظمة ويزو، وهي كسابقتها، وتسمى المنظمة الصهيونية النسائية العالمية، وتنتشر فروعها في شتى أنحاء العالم.

ثانياً:المنظمات السرية:

من المنظمات الصهيونية السرية الخطيرة التي أكتشف أمرها:

الماسونية، والبهائية، وجمعية شهود يهوه، ونادي الصلبان المزدهرة، ونوادي الروتاري، ونكتفي بالإلمام بالمحافل الماسونية.

(٥) شعارات ورموز الماسونية

والماسونية أو جمعية البنائيين الأحرار منظمة اجتماعية عالمية شعارها الذي يتسم به نشاطها الظاهر العدل، الإخاء، الحرية، **وهدفها:** التعاون الإنساني بين أفرادها على أوسع مدى، وقد اتخذت من صناعة البناء وأدواته كثيرا من شعاراتها ورموزها.

فالبركار والزاوية هما الرمز العام للماسونية.

وعلامة الأستاذ الأعظم: البركار والقوس وصورة العين المشعة داخل مثلث.

وعلامة المنبه الأول الأعظم: ميزان البناء.

وعلامة المنبه الأعظم: خيط الشاقول.

وعلامة المهندس الأعظم: البركار.

ويشار إلى الله (سبحانه وتعالى) باسم: مهندس الكون الأعظم.

ويسمى كل تنظيم ماسوني محفلا، يجتمع فيه الأعضاء، ويضم المحفل الأكبر مجموعة من المحافل، وتتبع المحافل المقامة في مجموعة من الدول محفلا عاما يسمى: شرقا.

(٦) طبقات الماسونية

تتكون الماسونية من طبقات ثلاثة متدرجة:

الطبقة الأولى:

وتعرف بالماسونية الرمزية العامة، وهذه الطبقة متاحة لجميع الأجناس والأديان، ويقسم أعضاؤها إلى ثلاث فئات:

المبتدئين أو الأخوة، ثم الأساتذة، ثم الأساتذة الأعاظم الذين يرأسون محافلها.

وتتكون المراتب الماسونية في هذه الطبقة الرمزية من ٣٣ درجة تتدرج صعودا حتى مرتبة الأستاذ الأعظم.

الطبقة الثانية:

وتعرف بالماسونية الملوكية أو العقد الملكي، ويسمى العضو فيها رفيقا كما يعرف رئيس المحفل بالرفيق الأعظم وكان أعضاؤها جميعا من اليهود، ثم سمح للأساتذة العظام للمحافل الماسونية الرمزية العامة بالاندماج فيها، على ألا يتجاوزوا فيها مرتبة الرفيق، وهي أدنى مراتبها

الطبقة الثالثة:

وتعرف بالماسونية الكونية، وتتكون من رؤساء محافل العقد الملوكي، وهي محفل واحد جميع أعضائه من اليهود، ولا يعرف مقره ولا رئيسه الملقب بالحاخام الأعظم، غير أن المشهور أن الماسونية الكونية يديرها المحفل الأمريكي المؤلف من اليهود الصهيونيين الرومانيين.

ولكل درجة من درجات الماسونية رموز خاصة، وشارة خاصة، وتحية معينة، وأسرار محددة تتسع دائرتها كلما ارتقى العضو إلى درجة أعلى، وتختلف باختلاف طبقات المحافل، ولا يجوز لدرجة أن تطلع على أسرار وتعاليم الدرجة التي تعلوها.

ولا يقبل العضو الجديد في أدنى درجات الماسونية إلا بعد تزكية عضوين له، وثبوت جدارته بما يجري حوله من التحريات السرية التي تبعث على الاطمئنان إليه، ونجاحه في اختبار نفسي عسير يجري في غرفة مظلمة رهيبة حيث يمكث فترة طويلة في تابوت من توابيت الموتى بين الجماجم والهياكل العظمية، ثم يتم قبوله في حفل تكريس تجري فيه طقوس غريبة على مشهد من جميع أعضاء المحفل.

ولا يرقى الماسوني إلى درجة أعلى حتى يمر باختبارات وتجارب قاسية تثبت جدارته، بالترقية وتلقي أسرار الدرجة الجديدة، وتتفاوت هذه الاختبارات في الدقة والقسوة بتفاوت الدرجات المكرس لها العضو، بحيث تمعن في القسوة كلما علت الدرجة، والقصد من ذلك التأكد من قدرة العضو على تحمل أنواع التعذيب والأذى الذي قد يتعرض له في سبيل كتمان أسرارها.

وقد اتخذت الماسونية ستارا لأغراضها الحقيقية (خدمة الصهيونية) . تلك النشاطات الإنسانية والاجتماعية، باعتبارها تعمل للبر والتعاون الاجتماعي وتنفي عن نفسها التعرض للمباحث الدينية والأمور السياسية، فالماسوني يلقى دائما من صنوف المعونة والمساعدة ما قد يحتاج إليه، سواء كان ذلك في وطنه أو البلاد الأخرى، حيث يقابل إخوانه الماسونيين المنتشرين في جميع الأقطار بمزيد البشر والترحاب، والاستعداد لخدمته،

والعمل على راحته، حالما يلتقي بهم ويتعرف إليهم بمقتضى الإشارات المصطلح عليها فيما بينهم، وكلمات السر المضنون بها على غيرهم؛ بل يزيد الدعاة في نشر الدعوة الماسونية بقولهم:

إن الموظف الماسوني لا بد أن يلقى من عناية الرؤساء الماسونيين بأمره ما تقر به عينه، حيث تكون ماسونيته خير مؤهل للترقي وتخطي الأقران، وإذا أجرم الماسوني ثم حوكم أمام القاضي الماسوني فإن البراءة مضمونة له، حالما يظهر له الإشارة الماسونية، وهكذا التاجر ورجل الأعمال.

وقد أفصح البروتوكول الثالث من بروتوكولات صهيون عن الدور الجدي للمحافل الماسونية في سبيل إنشاء الدولة اليهودية العالمية التي يدين لها سكان المعمورة، ويخضعون لسلطانها حيث يقول:

إن المحافل الماسونية تقوم في العالم أجمع ـ دون أن تشعر ـ بدور القناع الذي يحجب أهدافنا الحقيقية، على أن الطريقة التي ستستخدم بها هذه القوة في خطتنا بل في مقر قيادتنا لا زالت مجهولة من العالم بصفة عامة.

وفصل البروتوكول الحادي عشر: الأهداف التي ترمي إليها الصهيونية من إفساح المجال لغير اليهود للانضمام إلى المحافل الماسونية العالمية، فقد جاء فيه:

ما هو السبب الذي دفعنا إلى أن نبتدع في سياستنا، ونثبت أقدامها عند غير اليهود، لقد رسخناها في أذهانهم دون أن ندعهم يفقهون ما تبطن من معنى، فما هو السر الذي دفعنا إلى أن نسلك هذا المسلك، اللهم إلا أننا جنس مشتت وليس في وسعنا بلوغ غرضنا بوسائل مباشرة؛ بل بوسائل غير مباشرة فحسب.

هذا هو السبب الحقيقي لتنظيمنا الماسونية التي لم يتعمق هؤلاء الخنازير من غير اليهود في فهم معناها، أو الشك في أهدافها، إننا نسوقهم إلى محافلنا التي لا عداد لها ولا حصر، تلك المحافل التي تبدو ماسونية فحسب، ذرا للرماد في عيون رفاقهم.

وفي البروتوكولات نصوص كثيرة تبين دور المحافل الماسونية في العمل لخدمة الصهيونية منها ما جاء في البروتوكول الخامس عشر:

يلتحق غير اليهود بالمحافل الماسونية مدفوعين بمجرد الفضولية أو أملا منهم في الحصول على المزايا التي توفرها لهم، ويلتحق بعضهم بها لكي يتمكنوا من مناقشة أفكارهم السخيفة أمام جمهور المستمعين، ويتوق غير اليهود إلى ضروب الانفعالات التي يهيئها النجاح والهتافات، وها نحن نوزعها عليهم دون حساب، ولذلك نتركهم يحرزون نجاحهم، ونفيد من الرجال الذين يمتلكهم الغرور، والذين يستسيغون أفكارنا وكلهم ثقة في عصمتهم وفي أنهم وحدهم قادرون على التفكير وغير خاضعين لغيرهم.

وهكذا كان الماسونيين أكبر معوان للحركة الصهيونية في شتى الأقطار، يعملون على تحقيق أهدافها السياسية والاستعمارية بحماس ودأب، ومنهم على سبيل المثال (ونستون تشرشل) الذي عمل على تأييد الحكومة الانجليزية للمطامع الصهيونية في فلسطين، وكان (هاري ترومان) رئيس الولايات المتحدة ماسونيا أعظم.

وقد أكدت ذلك مجلة شيكاغو افنجر في عددها الصادر في ١٣ يوليو ١٩٥٥ م، وهو الذي سارع إلى الاعتراف بدولة إسرائيل ساعة ولادتها المشؤومة.

وتعزى الحركات الثورية العاتية، والفتن المخربة التي اندلعت في شتى الدول في العصر الحديث إلى النشاط الماسوني الهدام، كالثورة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، والانقلاب العثماني سنة ١٣٢٧ هـ (١٩٠٨ م) والثورة الشيوعية سنة ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) وغيرها.

(٧) موقف علماء المسلمين من هذه المنظمات المشبوهة

صدرت عدة فتاوى من العلماء على أعلى المستويات تجرم وتحرم الانتساب إلى الماسونية وغيرها من المنظمات السرية والمشبوهة التي تعمل عملها، فقد:

١- أصدر المجلس الإسلام العالمي بمدينة كراتشي باكستان بيانا في ١٩٧٠/١٢/٢٩م يحذر المسلمين في أنحاء العالم من الاشتراك في هذه المنظمات؛ لأنها بنات الماسونية العالمية، التي تعمل لحساب إسرائيل والقضاء على الإسلام.

٢- أصدر المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة -برئاسة سماحة الشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله في دورته المنعقدة بتاريخ ١٣٩٨/٨/١٠هـ الموافق ١٩٨٥/٧/١٥م- قرار شرعيا اعتبر فيه الماسونية والأندية التابعة لها كالليونز والروتاري من أخطر المنظمات الهدامة على الإسلام، وأن من ينتسب إليها على علم بحقيقتها وأهدافها فهو كافر بالإسلام.

٣- أصدرت لجنة الفتوى بالأزهر الشريف بيانا في ١٥ مايو ١٩٨٥م بتحريم الانتساب إلى أندية الروتاري والليونز، أو الاشتراك في عضويتها؛ لأنها من أخطر المنظمات الهدامة التي تعمل لحساب الماسونية، ويسيطر عليها اليهود والصهاينة.

الصهيونية

الصهيونية

لا جرم أن الصهيونية أخطر المذاهب الدينية والسياسية التي منيت بها البشرية، بما تفرض من قهر سياسي، وقسر فكري، وتمايز عنصري، واحتكار للقوى المادية والفكرية على مستوى البسيطة، وبما تنزغ بين البشر أبدا بالشحناء والبغضاء، وتنزع بهم في الإحن والكيد والملاحاة.

والصهيونية ليست قاصرة على افتعال دولة يهودية في فلسطين، وإنما هي تستهدف سيادة الدنيا بأقطارها قاطبة، واسترقاق شعوبها كافة.

وطريقهم إلى تحقيق السيطرة على العالم مخوفة منكرة، كما رسمتها مناهجهم العملية في بروتوكولات صهيون، فهي تعتمد أساسا على تقويض أركان المجتمع العالمي، وبث عناصر الانحلال تعبث في خلاله وتستشري في أوصاله، وإشاعة الفوضى الاجتماعية والفكرية الغامرة، حتى إذا تداعت قيمه، وفقد مقوماته، فتهاوى خائرا مستسلما في خواء فكري وفراغ سياسي، انبعث اليهود من غمار الفوضى التي يتردى فيها العالم ليمسكوا بزمام حكمه، ويقيموا دولة عالمية تضم أطراف الدنيا، يتربع اليهود على عرش السيادة، ومن دونهم الناس قاطبة عبيد اليهود يخضعون لحكمهم.

تلك هي الصهيونية الداء الوبيل الذي يهدد العالم ويقض مضاجعه.

وسنتناول الصهيونية بالدراسة من خلال العناصر الآتية:

١- تعريف الصهيونية.

٢- تاريخ الصهيونية.

٣- أسس الفكر الصهيوني.

٤- أهداف الصهيونية.

٥- مناهج الصهيونية.

٦- وسائل الصهيونية.

٧- مواجهة وسائل الصهيونية.

(١) تعريف الصهيونية

الصهيونية: حركة سياسية عنصرية متطرفة، ترمي إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين تحكم من خلالها العالم كله. وهي مشتقة من اسم (جبل صهيون) في القدس حيث تطمع الصهيونية أن تشيد فيها هيكل سليمان، وتقيم مملكة لها تكون القدس عاصمتها.

وارتبطت الحركة الصهيونية بشخصية اليهودي النمساوي "هرتزل" الذي يعد الداعية الأول للفكر الصهيوني الذي تقوم على آرائه الحركة الصهيونية في العالم.

(٢) تاريخ الصهيونية

تاريخ الصهيونية جزء من تاريخ اليهود، والصهيونية هي امتداد لما يقوم به اليهود منذ القدم، وللصهيونية جذور تاريخية وسياسية منذ قيام حركة المكابيين التي أعقبت السبي البابلي.

ومرت بعد ذلك بمراحل كثيرة منذ تلك القرون، وذلك قبل ظهور المسيحية، وقبل ظهور الإسلام وبعده.

وكانت مهمتها في مراحلها الأولى تحريض اليهود على العودة إلى أرض فلسطين، وبناء هيكل سليمان، وتأسيس دولة إسرائيل الكبرى.

أما في العصر الحديث فقد بدأت نواتها الأولى عام (١٨٠٦م)، حين اجتمع المجلس الأعلى لليهود بدعوة من نابليون لاستغلال أطماع اليهود، وتحريضهم على مساعدته.

والصهيونية الحديثة هي المنسوبة لـ (تيودور هرتزل) الصحفي اليهودي النمساوي (١٨٦٠- ١٩٠٤) م، وهدفها الأساسي الواضح قيادة اليهود إلى حكم العالم.

وقد بدأ اليهود بإقامة دولة لهم في فلسطين، وفي محاولتين لكنهم أخفقوا.

وبعد ذلك أقام هرتزل أول مؤتمر صهيوني عالمي في بال بسويسرا عام (١٨٩٧م)، ونجح في تجميع يهود العالم حوله، كما نجح في جمع دهاة اليهود الذين صدرت عنهم أخطر مقررات في تاريخ اليهود، وهي (بروتوكولات حكماء صهيون) المستمدة من تعاليم كتب اليهود المحرفة التي يقدسونها.

ومن ذلك الوقت بدأ حكماء اليهود يتحركون بدقة، ودهاء، وخفاء؛ لتحقيق أهدافهم التدميرية، والتي أصبحت نتائجها اليوم واضحة للعيان.

(٣) أسس الفكر الصهيوني

١- اليهود شعب الله المختار، فأرواح بني إسرائيل جزء من الله، والأرواح الأخرى أرواح شيطانية شبيهة بأرواح الحيوانات.

٢- الدنيا ملك للإسرائيلي، ومن حقه أن يتسلط وتكون له السيادة على العالم؛ لكونه شعب الله المختار لدى الله على بني البشر.

٣- فلسطين هي الهدف الأساسي لليهود، وهي نقطة الارتكاز التي تبدأ منها سيطرتهم على العالم، ففيها يجب أن تقوم دولتهم لأنها أرض المعياد.

٤- أن اليهود في شتى أنحاء العالم يمثلون شعبا واحدا ينتمي إلى أصل واحد، وأن هذا الأصل مرجعه إلى فلسطين، ومن ثم يجب اعتبار اليهود أعضاء في الجنسية الإسرائيلية.

(٤) أهداف الصهيونية

تنوعت الأهداف الصهيونية، ويمكن تقسيمها إلى:

أولاً: الأهداف الدينية:

١- إثارة الحماس الديني بين أفراد اليهود في جميع أنحاء العالم، لعودتهم إلى أرض الميعاد المزعومة (أرض فلسطين).

٢- حث سائر اليهود على التمسك بالتعاليم الدينية والعبادات والشعائر اليهودية والالتزام بأحكام الشريعة اليهودية.

٣- إثارة الروح القتالية بين اليهود، والعصبية الدينية والقومية لهم؛ للتصدي للأديان والأمم والشعوب الأخرى.

ثانياً: الأهداف السياسية:

١- التعاون مع الاستعمار؛ لتحقيق أهداف سياسية في العالم الإسلامي، منها:

أ. تمزيق وحدة المسلمين والعرب، والحيلولة دون وحدة العالم الإسلامي بالفصل بين قارتي آسيا وأفريقيا.

ب. تتمة الغزو الثقافي للعالم الإسلامي، بتدمير كل القيم، والأنظمة، والأخلاق، ونقل أسلوب الإلحاد، والإباحية، والتسلط.

٢- السيطرة على العالم كما وعدهم إلههم (يهوه)، والمنطلق لذلك هو إقامة حكومتهم على أرض الميعاد، والتي تمتد من النيل إلى الفرات.

فالصهيونية ليست قاصرة على افتعال دولة يهودية في فلسطين، وإنما هي تستهدف سيادة الدنيا بأقطارها قاطبة، واسترقاق شعوبها كافة، وإخضاعها لنير اليهود والشرائع اليهودية.

٣- محاولة تهويد فلسطين (أي جعلها يهودية داخلياً) وذلك بتشجيع اليهود في جميع أنحاء العالم على الهجرة إلى فلسطين وتنظيم هجرتهم وتمويلها، وتأمين وسائل الاستقرار النفسي والوظيفي والسكني وذلك بإقامة المستوطنات داخل أرض فلسطين (وهي عبارة عن مجمعات سكنية حديثة كاملة المرافق، تمولها الصهيونية من تبراعات اليهود والدول الموالية لهم في العالم)، وتوطيد الكيان اليهودي الناشئ في فلسطين سياسياً واقتصادياً وعسكرياً.

٤- تدويل الكيان الإسرائيلي في فلسطين عالمياً، وذلك بانتزاع اعتراف أكثر دول العالم بوجود دولة إسرائيل في فلسطين، وشرعيتها، وضمان تحقيق الحماية الدولية لها، وفرضها على العالم، وعلى المسلمين على وجه الخصوص.

لذلك نجد أن الصهيونية تقوم بدور رئيس في دفع أمريكا وروسيا وأكثر الدول في أوربا لحماية إسرائيل سياسياً وعسكرياً ودعمها اقتصاديا وبشريا، فبالرغم من أن أمريكا ودول أوربا – دول نصرانية –، وبالرغم من أن روسيا شيوعية تحارب الأديان، وبالرغم أيضا من أن شعوب هذه الدول تكره اليهود بحق، إلا أنها لا تزال تحمي دولة إسرائيل وتدعمها، وما ذلك إلا بتأثير الصهيونية الواضح.

٥- متابعة وتنفيذ المخططات اليهودية العالمية السياسية والاقتصادية، خطوة بخطوة، ووضع الوسائل الكفيلة بالتنفيذ السريع والدقيق لهذه المخططات، ثم التهيئة لها إعلاميا وتمويلها اقتصاديا، ودعمها سياسياً.

٦- توحيد وتنظيم جهود اليهود في جميع العالم أفراد وجماعات ومؤسسات ومنظمات، وتحريك العملاء والمأجورين عند الحاجة لخدمة اليهود وتحقيق مصالحهم ومخططاتهم.

(٥) مناهج الصهيونية

يعتمد اليهود في تنفيذ سياستهم الاستعمارية للسيطرة على العالم على ركائز خمسة:

١- السيطرة الفكرية:

ووسيلتهم في ذلك وسائل الإعلام المختلفة، والقنوات الفضائية والإخبار المشبوهة، وفي هذا المجال جاء التنظيم اليهودي تنظيماً دقيقاً، وأنشأت وكالات الأنباء الكبيرة في العالم التي يقوم عليها اليهود، وقاموا بالإعلانات الصاخبة المدوية عن أي حدث يريدونه، يقول هرتزل في مذكراته الضجة: "هي كل شيء والحق أن الضجيج يؤدي إلى الأعمال الكبيرة وذلك أنها ستلفت الأنظار وتضعف الأعداء".

٢- السيطرة السياسية:

وسبيلهم إليها التغلغل في الأوساط السياسية، واكتساب التأييد الدولي، وضم كبار الساسة والمسئولين إلى صفوفهم بشتى الطرق المشروعة وغير المشروعة، وخاصة في المجتمع الغربي، فتراهم في الدول الرأسمالية يمالئون النظام الرأسمالي ليكونوا من دعائمه وزعمائه، ثم هم في روسيا الشيوعية دعاتها المتحمسون ورواد الثورة البلشفية الحمراء.

٣- السيطرة المالية:

وتتحقق عن طريق البنوك وبيوت المال، التي يهيمن عليها اليهود، ويوجهون بها النشاط الصناعي والتجاري لمصلحتهم، ويتحكمون في الاقتصاد الفردي والاقتصاد الجماعي بما يدعم نفوذهم السياسي، فيبتزون بها الثروات الخاصة والعامة، ويمتصون الأموال من المجالات الحيوية، وهي عصب الحياة في المجتمع حتى يتحطم وينهار، وذلك عن طريق الاحتكار والمضاربات المالية والإقراض بالربا الفاحش، وإشاعة الفقر والدمار والإفلاس، وشراء ضمائر الساسة والحكام توصلاً إلى ما يبتغون من مآرب وأطماع.

٤- السيطرة الأخلاقية:

بالإغواء الجنسي —وهو من أقدم الوسائل الصهيونية لتنهار الأخلاق في كل مكان، ويصبح هم الشباب الأكبر إرواء غرائزهم الجنسية، وعندئذ تنهار أخلاقهم، فتسهل السيطرة عليهم.

٥- السيطرة العسكرية:

وهي المرحلة الأخيرة في مناهج الحركة الصهيونية، ووسيلتهم في ذلك إعداد جيش يهودي قوي، مزود بأحدث الأسلحة والعتاد الحربي لحماية دولتهم، والتوسع العدواني بالغزو المسلح.

(٦) وسائل الصهيونية

وضعت الصهيونية عدة وسائل بالغة الخطورة لتنفيذ مناهجها، وذلك من خلال خطوات عملية يقومون بها، وهي في جملتها مستقاة من التلمود، ومن أبرزها، الآتي:

١-إشاعة الفوضى الشاملة.

حيث دعت إلى التفنن في وسائل إفساد الحكومات والمجتمعات، وتخريب الدول والنفوس، باللجوء إلى الحيل والتعامل بالرذائل، واستخدام القوة والبطش، مما يقود البشرية إلى فوضى عاتية، يتسلل من خلالها اليهود ليحكموا العالم.

جاء في البروتوكول الخامس: (إننا نقرأ في قاموس الأنبياء أن الله اختارنا لحكم العالم، وقد وهبنا الله العبقرية لنقوم بهذا العمل)، وقد تركزت هذه العبقرية – مع الأسف – في الافتنان في وسائل الفساد والتخريب، وفساد الحكومات والمجتمعات، وتخريب الدول والنفوس، وعلى هذا الأساس فصلت البروتوكولات المناهج العملية لتقويض الحكم القائم في شتى الدول، وإقامة حكومة يهودية جامعة على أنقاضها: (أروع النتائج التي – يمكن الحصول عليها في سبيل حكم العالم يتحقق باستخدام العنف والتهديد لا بالمناقشات الأكاديمية) (وأن الذي يحكم، يجب أن يلجأ إلى الحيلة والنفاق، وفي السياسة تستحيل الصفات الانسانية من أمانة وصدق إلى رذائل تؤدي إلى سقوط الملك عن عرشه) (يجب أن يكون شعارنا: جميع وسائل القوة والنفاق يتحتم أن يكون البطش هو المبدأ، والحيلة والنفاق هما القاعدة لدى الحكومات التي لا تريد أن تضع تاجها تحت أقدام أعوان أي حكم جديد وهذا الشر هو السبيل الوحيد لبلوغ الخير، فعلينا أن لا نتردد أمام شراء الذمم والغدر والاحتيال إذا كان ذلك يخدم قضيتنا). وتنشأ عن هذه الخطط والوسائل الصهيونية إشاعة الفوضى في العالم والتسلل اليهودي من خلالها، وهذا ما تعانيه البشرية اليوم: فوضى عاتية جائحة: سياسية وفكرية وروحية واجتماعية واقتصادية.

٢– إثارة الفتن والوقيعة بين شعوب العالم ودوله.

حيث يقف اليهود بقواهم وراء الكثير من الانقلابات في العالم ووراء كل حركة تخريب، وهم يدبرون الحروب بين الشعوب، حيث يرون أن هذه الحروب والاضطرابات المستمرة وأعمال العدوان تشيع الأحقاد والعداوات، بما يمكنهم من استغلالها في تجارة السلاح والإقراض الربوي، والتسلل لمواقع النفوذ والتأثير.

كشف الحاخام عمانوئيل رابينوفتش عن خطة الصهيونية في خطابه بمؤتمر الربانيين بمدينة بودابست سنة (١٩٥٤م) حيث قال: "هل تذكرون حملاتنا الدعائية الناجحة عام ١٩٣٠م، لقد أثارت الحقد على الأمريكيين في ألمانيا والألمانيين في أمريكا، وهذا هو ما أدى إلى نشوب الحرب العالمية الثانية، وقد شرعنا في شن حملات مماثلة في سائر أنحاء العالم، فأثرنا في روسيا موجة من الحقد ضد الولايات المتحدة، وفي نفس الوقت أثرنا في الولايات المتحدة شعورا بالخوف والتوجس إزاء الشيوعيين، وتؤدي هذه الحملات إلى دفع الدول الصغيرة إلى تحديد موقفها إما مع روسيا وإما مع أمريكا.

وهذا تطبيق لما رسمته البروتوكولات صراحة، ففي البروتوكول العاشر: "يجب بث الاضطرابات بصفة مستديمة في العلاقات القائمة بين الشعب والحكومات، وإشاعة الأعمال العدوانية والأحقاد، وحتى عذاب الجوع والحاجة والأمراض، لدرجة لا يرى معها غير اليهود مخرجا للأرزاء التي تحل بهم سوى الالتجاء إلى أموالنا وإلى سيادتنا المطلقة".

وفي البروتوكول الحادي عشر: "غير اليهود كقطيع من الأغنام أما نحن فإننا الذئاب، وهل تعلمون ما تفعل الأغنام إذا اقتحم الذئاب حظيرتها؟ إنها تغمض عينيها، وسندفعهم إلى ذلك".

ويتضح من البروتوكول الخامس عشر كيف يعمل الصهيونيون لتحقيق أهدافهم: "وإذا ما تولينا السلطة بما نكون قد أعددناه من انقلابات تحدث في جميع الدول في وقت واحد -بمجرد أن يعلن رسميا عجز حكومات تلك الدول عن حكم الشعب، وقد يمضي على ذلك وقت طويل ربما يبلغ قرنا- سنبذل كل جهدنا لمنع المؤامرات ضدنا".

وإعمالا لهذه التعاليم نلاحظ أن اليهود ضالعون مع كل حركة تخريب في العالم، فقد كانوا وراء الحرب العالمية الأولى، يظاهرونها ويذكون أوارها انتقاما من روسيا التي تصدت لليهود وانتقمت منهم، وقد استغل اليهود تلك الحرب الضروس لفائدتهم المالية بإقراض الدول بالربا الفاحش، وترويج تجارتهم في مواد القتال التي يحتكرونها، للقضاء على شعوب أروربا وتقويض دولها.

٣- الإرهاب الفكري وإفساد الرأي العام.

وذلك عن طريق بلبلة الأفكار والعبث بالقيم والأخلاق؛ بل السعي إلى إفساد العلم والعلماء؛ لإفساد العقول، حيث تمكنوا من تجنيد بعض علماء اليهود؛ لوضع شبه نظريات علمية مبتدعة؛ لإفساد المجتمع الإنساني، وهدم الأديان، والأخلاق، ومن أمثلة ذلك:

- كارل ماركس صاحب النظرية الماركسية المعادية للأديان.

- واليهودي دور كايم، صاحب علم الاجتماع لهدم النظام الأسري .
- واليهودي سارتر، صاحب الوجودية للدعوة إلى الانحلال والرزيلة.
- واليهودى فرويد، صاحب النظرية الفرويدية في علم النفس؛ لإثارة الجنس والغرائز.

جاء في البروتوكول الثاني: "نحن الذين هيأنا دارون، وماركس، ونيتشه، ولم يفتنا تقدير الآثار السيئة التي تركتها هذه النظريات في أذهان غير اليهود".

ويشرح البروتوكول الخامس كيفية إفساد الرأي العام وبلبلة الأفكار، يقول: "ولكي نطمئن إلى الرأي العام فيجب أن نربكه تماما، فنسمعه من كل جانب وبشتى الوسائل أراء متناقضة يضل معها غير اليهود الطريق".

٤-إشاعة الفوضى والفساد في المجتمع.

وذلك ببذر بذور الفوضى والانحلال الخاصة في الشباب؛ فإن مثل ذلك يورث البلادة، وحب الترف، والدعة.

جاء في البروتوكول التاسع: "لقد أتلفنا الجيل الحاضر من غير اليهود، وأفسدنا خلقه بتلقينه المبادئ والنظريات التي نعلم إنها مبادئ ونظريات فاسدة، وعملنا على ترسيخها في ذهنه".

وجاء في البروتوكول الأول: "إن الشعب لدى المسحيين أضحى متبلد الذهن تحت تأثير الخمور، كما أن الشباب انتابه العته لانغماسه في الفسق المبكر".

٥- افتعال الأزمات الاقتصادية.

أدرك اليهود أن المال عصب الحياة وأن الأزمات الاقتصادية تلقي بظلالها على الجماعات والأفراد؛ لذلك سعوا إلى استخدام السلاح الاقتصادي؛ لتقويض الحكومات والسيطرة على الشعوب.

جاء في البروتوكول الثالث: "وسنعمد إلى خلق أزمة اقتصادية عالمية بكافة الطرق الملتوية الممكنة بواسطة الذهب الذي يجرى بين ايدينا".

٦- القضاء على الأديان.

فعندهم كل ماعدا اليهودية من الأديان باطل ، واليهودية في زعمهم التوراة التي بين أيديهم، وما أضافوه إليها من التلمود والكبالا والتعاليم السرية من وضع الحاخامات.

واليهود بزعمهم صفوة الخلق، وهم أبناء الله وأحباؤه، وأما ما غير اليهود فهم "الجوييم"، أي: الكفرة والأنجاس؛ لذا فمحاربة الأديان من أهدافهم للقضاء عليها.

جاء في البروتوكول الرابع عشر: "عندما نصبح أسياد الأرض لا نسمح بقيام دين غير ديننا ..من أجل ذلك يجب علينا إزالة العقائد، وإذا كانت النتيجة التي وصلنا إليها مؤقتا قد أسفرت عن خلق الملحدين، فإن هدفنا

لن يتأثر بذلك؛ بل يكون ذلك مثلا للأجيال القادمة التي ستسمع إلى دين موسى، هذا الدين الذي فرض علينا مبدأه الثابت النابه، ووضع جميع الأمم تحت أقدامنا".

(٧) مواجهة الوسائل الصهيونية

ها قد أفصحت الصهيونية عن أهدافها، ومناهجها، ووسائلها بكل وضوح، فلا يليق بنا كمسلمين أن نقف موقف المتفرج، حتى تتحقق فينا أهدافهم ونكون تحت رحمتهم أذلاء؛ بل **يجب علينا العمل بجد ونشاط، وبهمة لا تعرف الكلل والملل لإبطال نواياهم الشريرة، وإفشال مخططاتهم الخبيثة، وذلك من خلال:**

١- بث العقيدة الصحيحة في ربوع أبناء الأمة، واطلاعهم على هذا التخطيط الصهيوني الغاشم، على اعتبار أن الإسلام هو أول من كشف النقاب عن فكر اليهود وخداعهم ، وأن المسلم يعرف طبع اليهود أكثر من غيره.

ثم التنبيه لشباب الأمة وقادتها أن الصهيونية تحاربنا عن طريق العقيدة المنحرفة وأن لم تصرح بذلك، وهذا يتطلب نشر المعتقد الصحيح بين الشباب المسلم.

٢- إقامة جبهة إعلامية إسلامية كبرى، وإنشاء قنوات إسلامية تقوم بالرد على كل فرية يعلنها الإعلام الصهيوني ووكالات الأنباء الصهيونية.

٣- العمل على إنشاء بنوكاً إسلامية تحكم بشريعة الإسلام، ولا تقرض بالربا، وتستخدم أموال المسلمين فيما يفيد، وتظهر الوجه الاقتصادي الصحيح الذي يمكن أن تعيش منه دون إجهاض لاقتصادياتها.

٤- إنشاء هيئة عالمية إسلامية تضم الزعماء المسلمين في كل أنحاء العالم أو من ينوب عنهم، وتكون من اختصاصاتها فض النزاعات بين المسلمين، والتصدي لأي هجوم استعماري على البلاد الإسلامية.

٥- إنشاء قوة عسكرية وجيش إسلامي ضخم، يكون هدفه رد المعتدين على الأوطان، والدفاع عن الاقتصاد الإسلامي، والأعراض والمقدسات الإسلامية، وقد أوجب الله تعالى علينا ذلك إذ قال: ((وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة)).

العولمة

العولمة

لقد كثر الحديث عن العولمة في السنوات العشر الأخيرة من القرن العشرين بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، فتناولتها بالحديث الأوساط الجامعية والإعلامية والتيارات الفكرية والسياسية المختلفة، وأصبحت حديث الاجتماعيين والفلاسفة الأوربيين وعلماء البيئة والطبيعة وكثرت أعداد الندوات والمؤتمرات والمحاضرات التي تحمل عناوينها (العولمة) أو النظام العالمي الجديد أو المتغيرات الدولية الجديدة أو الكونية.

وأوّل من تبنى فكرة مفهوم العولمة بعد عالم السسيولوجيا الكندي "مارشالماك" من جامعة تورنتو- "زبيغنيو بريجينسكي" مستشار الرئيس الأمريكي كارتر (١٩٧٧-١٩٨٠م) الذي أكدّ على ضرورة أنّ تقدّم أمريكا- التي تمتلك ٦٥% من المادة الإعلامية على مستوى العالم- نموذجا كونيا للحداثة، يحمل القيم الأمريكية التي يذيعونها دوما في الحرية وحقوق الإنسان.

ولقد صدرت كثير من المؤلفات باللغات الأوربية والعربية التي تتناول هذه الظاهرة، لدرجة أن المرء يكاد يحار في كيفية دراسة هذه الظاهرة والإلمام بموضوعها، خاصة أن كل كاتب أو متحدث يتناولها بالدراسة والتحليل من جانب معين مثل الجانب الاقتصادي أو الثقافي أو السياسي أو الإعلامي.

ومعظم الأفكار والأطروحات الغربية التي تتناول دراسة ظاهرة العولمة تقوم على ما طرحه الكاتب الأمريكي الياباني الأصل "فرانسيس فوكاياما" في كتابه (نهاية التاريخ والإنسان الأخير)، والتي يزعم فيه أننا وصلنا إلى نقطة حاسمة في التاريخ البشري تتحدد بانتصار النظام الرأسمالي الليبرالي والديمقراطية الغربية على سائر النظم المنافسة لهما، وأنّ العالم قد أدرك بعد فترة حماقة طويلة أن الرأسمالية هي أفضل أنواع النظم الاقتصادية، وأن الليبرالية الغربية هي أسلوب الحياة الوحيد الصالح للبشرية، وأن الولايات المتحدة الأمريكية وامتدادها الاقتصادي القيمي (النظام الرأسمالي المادي) أوربا يمثلان الدورة النهائية للتاريخ، وأنّ الإنسان الغربي هو الإنسان الكامل الأخير.

ومن هنا وجدت الفلسفة الإعلامية الغربية في أفكار وأطروحات (فوكوياما) مادة تسوّغ بها سياسات الغرب الرعناء تجاه العالم المعاصر.

والعولمة ترتبط في أذهان الكثير من الناس بالتقدم والرقي والانفتاح الاقتصادي، ومع أن مفهوم العولمة لا يقتصر على الجانب الاقتصادي؛ بل يشمل الجوانب الاجتماعية والبيئية، والثقافية، والسياسية، إلاّ أنّ الجانب الاقتصادي هو أبرز مظاهر العولمة.

وسنتناول العولمة بالدراسة من خلال العناصر الآتية:

١- تعريف العولمة.

٢- الأسس التي تقوم عليها العولمة.

٣- أهداف العولمة.

٤- تحديات العولمة.

٥- مواجهة خطر العولمة.

(١) تعريف العولمة

العولمة في اللغة:

"العولمة" نسبة إلى العَالم –بفتح العين– أي الكون، ومعناها: وضع الشيء على مستوى العالم.

وقيل مشتقة من الفعل "عولم" على صيغة فوعل واستخدام هذا الاشتقاق يفيد أن الفعل يحتاج لوجود فاعل يفعل، أي أنّ العولمة تحتاج لمن يعممها على العالم.

وقد أقرّ مجمع اللغة العربية بالقاهرة إجازة استعمال العولمة بمعنى جعل الشيء عالمياً.

والعولمة ترجمة لكلمة (Modularisation) الفرنسية، بمعنى جعل الشيء على مستوى عالمي، والكلمة الفرنسية المذكورة إنّما هي ترجمة (Globalisations) الإنجليزية التي ظهرت أولاً في الولايات المتحدة الأمريكية، بمعنى تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل الكل.

فهي إذا مصطلح يعني جعل العالم عالمًا واحدًا، موجهًا توجيهًا واحدًا في إطار حضارة واحدة، ولذلك قد تسمى الكونية أو الكوكبة.

العولمة في الاصطلاح:

مشروع كوني متكامل، يغطي حقولا عديدة من السياسة والاجتماع إلى الحضارة والاقتصاد، حيث تتأكد هيمنة دول الشمال الصناعية على السوق العالمي، وتتحول أسواق العالم الثالث إلى مستهلك لمنتجات دول الشمال.

(٢) الأسس التي تقوم عليها العولمة

١– إزالة الحواجز والحدود أمام حركة التجارة والثقافة العالمية.

٢– العمل على دمج اقتصاديات العالم في اقتصاد واحد خاضع لنظام البلدان الصناعية المتقدمة، ومجموعة البلدان السبع الأوربية، وبالتالي القضاء على أي نظام اقتصادي آخر، سواء أكان هو النظام الإسلامي أو النظام الاشتراكي.

٣– حرية انتقال السلع والبضائع وتحويل الأسواق الوطنية إلى أسواق مستهلكة لبضائع الدول الصناعية الكبرى ومنتجاتها، وفتح الحدود القطرية أمام انتقال المواد الخام دون قيود أو حدود.

٤– تعميم الخصخصة وتوسيعها على جميع القطاعات الصناعية والزراعية والنقل والمواصلات.

٥– منح المزيد من المرونة والصلاحيات لتوسيع فعاليات الوكالات الدولية والجمعيات الأهلية.

(٣) أهداف العولمة

نريد أن نتحدث عن الأهداف الحقيقة للعولمة، صارفين النظر عن الأهداف المضللة التي يريدها أنصار العولمة، وخبراء صندوق النقد الدولي الذين يَعِدون الشعوب بجنة العولمة التي سيتربع فيها الفرد على عرش العالم؛ لينعم بمباهج التكنولوجيا، وزيادة الدخل ورخاء العيش، فضلا عن توسيع أرضية المشاركة على قاعدة المجتمع المدني وحقوق الإنسان والديمقراطية وغير ذلك من الأكاذيب التي يروج لها أناس ماتت ضمائرهم، ولم يعد يعنيهم غير مصالحهم الذاتية التي يحاولون تحقيقها على أشلاء الفقراء والمديونين من أبناء العالم الثالث.

ويشارك في هذا التضليل حفنة من المثقفين العرب الذين يعملون لحساب أمريكا وشركائها، فيكتبون المقالات، وينظمون المؤتمرات، ويستخدمون أسلوب الترغيب تارة، وأسلوب الترهيب تارة أخرى.

فمع ترويجهم للأهداف المضللة التي سبق الحديث عنها، فلا مانع من الحديث عن خطورة الوقوف أمام العولمة التي ستسحق كل من يقف أمامها، متناسين أن الطريق أمام انتشارها ليس مفروشا بالورود، وخصوصا بين العرب والمسلمين الذين لن يقبلوا إزالة الحواجز الدينية والقومية والثقافية بينهم وبين الغرب، الذي يهدف أول ما يهدف إلى القضاء على خصوصياتنا، وقوميتنا، وانتماءاتنا العقدية والثقافية.

ولنتجاوز الآن تلكم الوعود الكاذبة؛ لنتعرف على **الأهداف الحقيقية للعولمة، والتي يمكن إيجازها في عدة نقاط:**

أولاً: التحكم في الاقتصاد العالمي وإخضاعه لمصالح الدول الكبرى، وذلك عن طريق حرية السوق والتعامل المشترك بين الدول، وتأمين مزيد من الأسواق للاستهلاك، ومزيد من الثروات للاستيلاء عليها.

وذلك ما يؤدي إلى القضاء على اقتصاد دول العالم الثالث ونهبه، ولكن بطريقة مشروعة تسمى بحرية السوق.

ثانياً: حل مشكلة الوفرة المالية الموجودة في الدول الكبرى، ذلك أن هذه الدول أصبح لديها فائض كبير من رؤوس الأموال التي لا تجد مجالا لاستثمارها، وهذا ما يؤدي على العجز في ميزان المدفوعات، كما أن استثمارها هناك لا يعطي سوى عوائد منخفضة، ومن هنا تتجه دول الغربي الرأسمالي إلى دول العالم النامي لكي تتحول أموالها إلى أصول ثابتة، حيث تدفع هذه الدول الفقيرة إلى بيع شركاتها ومؤسساتها الإنتاجية بأرخص الأسعار للمستثمر الأجنبي، أو تحول جزءا من أموالها إلى أسهم وسندات وتجارة العملات، التي تدر عليهم الأرباح التي ما كانوا يحلمون بها في بلادهم.

وهكذا تكون بلدان العالم النامي هي التي تساعد هذه الدول التي تدونا إلى الدخول في عصر العولمة، ونحن لا ندعي عليهم؛ بل هذه اعترافاتهم.

ثالثاً: تشكيل النظام العالمي المالي ليندرج تحت المظلة الرأسمالية الغربية والتي يحكمها الغرب وخصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية، وأن انتصار النظام الرأسمالي دليل على صلاحيته وأنه أفضل صيغة يمكن للعقل البشري أن يصل إليها، ولا يمكن لدول العالم أن تخرج من تخلفها إلا بدخولها في المنظومة الرأسمالية.

رابعاً: محاولة ربط الإنسان بالعالم لا بالدولة والتي تعني القضاء على سلطة الدولة والمشاعر الوطنية، ودمج العالم في وحدة إعلامية واحدة تنطلق من منطلق معلوماتية واحدة.

خامساً: الهيمنة السياسية على دول العالم الثالث، واستعمار ممتلكاتها وخيراتها بصورة حديثة تتفق مع عصر العولمة، بحيث لا تستشعر الدول ما كانت تستشعره إبان الاستعمار العسكري المدجج بالسلاح.

سادساً: التذويب الحضاري لسائر الحضارات التي تحمل قيماً مضادة لقيم الحضارة الغربية، وعلى رأسها الحضارة الإسلامية باعتبارها المحرك الأول لمقاومة الحضارة الغربية. وفي هذا يقول الكاتب الأمريكي صموئيل هانتنجتون:"إنه لا مجال ولا إمكانية للتعايش مع الحضارة الإسلامية؛ لأنها تختلف عن الحضارة الغربية وإن المواجهة التي انتهت ضد الحزب الشيوعي تركت الفضاء مفتوحاً أمام مواجهة جديدة لا تكون إلا مع الغرب وقيمه، والإسلام الذي هو غير قيم الغرب ؛ بل هو مغاير للحضارة الغربية ولحقوق الإنسان، ولسيادة الحق والنظم الديمقراطية يجب مقاومته".

وهكذا يكشف لنا هذا الأمريكي عن النية المبيتة ضد الحضارة الإسلامية، ومن هنا تريد العولمة إزاحة قيم الحضارة الإسلامية تحت عنوان إزالة الحواجز بين الشعوب، بحيث يكون انتماؤهم للعالمية وليس للمحلية.

سابعاً: القضاء على الإسلام، وهو هدف مترتب على سابقه؛ باعتباره المحرك الأول لهذه الحضارة، وهذا ما صرح به "نيكسون" في كتابه " الفرصة الأخيرة ":"إنه بعد سقوط الشيوعية لم يعد هناك عدو سوى الإسلام".

فيجب القضاء على التعصب الديني والقومي والإقليمي ومزج الأمم في الحضارة الغربية.

ثامناً: إعادة بناء أقطار العالم السياسية في صيغ تكرس الشرذمة والتشتت الإنساني، وتفكك الأوطان والقوميات إلى كيانات هزيلة قائمة على نزعات قبلية عرقية أو دينية طائفية أو لغوية ثقافية، بغية سلب أمم العالم وشعوبها القدرة على مواجهة الزحف المدمر للرأسمالية العالمية والتي لا تستقر إلا بالتشتت الإنساني.

(٤) تحديات العولمة

يواجه العالم الإسلامي بصفة عامة –باعتبار أن معظم دوله من العالم النامي– والعالم العربي بصفة خاصة عددا من التحديات الخطيرة؛ بسبب فرض نظام العولمة منها: التحديات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وسوف نحاول أن نشير إلى بعض هذه التحديات فيما يأتي:

أولا: التحديات الاقتصادية.

عولمة الاقتصاد تعني: إسقاط كل الحواجز والحدود والخطط والتوجيهات الدولية أمام حركة رأس المال دخولا وخروجا واستثمارا، وهذا ما عبر عنه (روجيه جارودي) بوحدانية السوق، أي أن السوق في ظل العولمة سيكون هو الإله الجديد المتوحد بالتصرف في كل شيء، وهو الذي سيحدد كل شيء دون خضوع لخطة أو سلطة.

ومع أن (آدم سميث) واضع أسس النظام الرأسمالي الحر بمبدئه الشهير (الذي قال فيه: دعه يعمل دعه يمر) كأنه يقصد من وراء هذا المبدأ إتاحة الفرصة لجميع الأفراد في ممارسة هذه الحرية، إلا أنه نسي أن كفالة الحريات لكل الأفراد لا تعني بالضرورة قدرتهم المتساوية على التمتع بها– وفي حالتنا هذه لن يستفيد من حرية السوق سوى الأغنياء، وأما الفقراء فلن يتمكنوا من الاستفادة منها؛ بل قد يتضرروا بسببها.

ومع كل ذلك ، فقد حذر سميث من خطورة انعدام الخطة والتوجيه، وكأنه كأن يتنبأ بما سوف تحدثه العولمة من خلل اقتصادي، حيث قال: "إن الخطوط الكبرى لعالم الاقتصاد الحالي قد وضعت ليس تبعا لخطة جامعة خرجت من رأس أحد الاقتصاديين ثم نفذت إدارياً من جانب مجتمع ذكي؛ بل بناء على تراكم خطوط لا تحصى رسمها حشد من الأفراد الخاضعين لقوى غريزية لا تملك أي فكرة عن الهدف الذي يجب تحقيقه".

وما العولمة الا مجموعة نشاطات لعدد كبير من الرأسماليين لا يعرف الواحد منهم الآخر، ولا تربطهم إلا المصالح والربح من التجارة في أي شيء، حتى ولو كانت هي دماء البشر؛ بل تعتمد العولمة –أكثر ما تعتمد– على المضاربات في أسعار المواد الخام أو العملات، التي يربح فيها المرء أكثر من أربعين مرة مما يربحه لو وظف نشاطاته المالية في قطاعي الإنتاج والخدمات، مع أن المجتمع في أمس الحاجة إلى مثل هذه النشاطات، فهناك ألف مليار دولار تنتقل حول العالم يوميا بحثا عن أكبر عائد.

ولهذا سوف تؤدي العولمة إلى الآثار السلبية التالية:

١ – تمركز الثروة العالمية في يد عدد قليل من البلدان الغنية.

ولذلك قال (جيمس جوستاف) رئيس برنامج الأمم المتحدة للتنمية ومن خلال حديثه لصحيفة لوموند خلال العام ١٩٩٦: "إن الهوة بين الشمال والجنوب تتفاقم تدريجيا، وأن عولمة الاقتصاد سوف تؤدي إلى تمركز الثروة العالمية كلها في خمسة عشر بلدا، وأن الدخل الفردي لأكثر من مائة بلد في انخفاض مستمر.
يقول الدكتور عابد الجابري: "إن خمس دول هي أمريكا واليابان وفرنسا وألمانيا وبريطانيا تتوزع فيما بينها ١٧٢ شركة من أصل ٢٠٠ من أكبر الشركات العالمية العملاقة التي تسيطر على عمليات الاقتصاد العالمي.
وفي تقرير للأمم المتحدة أن ٣٥٨ شخصا من كبار الأثرياء في العالم يساوي حجم مصادر ثروتهم النقدية حجم المصادر التي يعيش منها ملياران وثلاثمائة مليون شخص من فقراء العالم.

٢ – سوف تؤدي العولمة إلى مزيد من الاستنزاف لأموال الدول النامية في السنوات القليلة المقبلة.

فقد أشار تقرير منظمة العمل العربية إلى أن الأرباح المتوقعة من اتفاقية الجات قد تصل إلى ٢٠٠ مليار دولار، لن يحصل العالم العربي منها سوى على نسبة ١%، في حين تتحصل المجموعة الأوروبية على ١٦,٣ مليار دولار، وأمريكا ستحصل على ٣٦ ونصف مليار دولار، والجمهوريات الروسية على ٣١ مليار، واليابان على ٢٧ مليار، وباقي دول العالم سوف تقتسم ما تبقى.
ومعنى ذلك أن العولمة ستؤدي إلى خلل حتمي في توزيع الثروة بين الدول الكبرى والدول الصغرى.

٣ – ستؤدي العولمة إلى القضاء على أي نظرية اقتصادية أخرى.

وخصوصا الاقتصاد الإسلامي، الذي بدأ يتأهل مع ظهور البنوك الإسلامية، وشركات الاستثمار الإسلامية، وغيرها من المؤسسات التي حاولت أن تبرز إلى أرض الواقع معالم الاقتصاد الإسلامي، وربما تجبر هذه البنوك على الاندماج في البنوك الربوية.

ثانيا: التحديات الاجتماعية.

ستؤدي العولمة في المجال الاقتصادي إلى سوء في توزيع الثروة على المستوى الدولي، وستؤدي أيضا إلى نفس الظاهرة على مستوى المجتمع الداخلي، فسوف تخلق العولمة مجتمعا غليظ القلب لا يحكمه سوى المادة والربح وقوى السوق، وهذا ما يؤدي إلى تعميق الفجوة بين قمة الهرم الاجتماعي وقاعدته، حيث سيصبح مجمل النشاط الاقتصادي مسخرا لهؤلاء الذين يملكون قوة شرائية كبيرة.

كذلك ستؤدي العولمة في المجال الاجتماعي إلى الظلم الاجتماعي لطبقة العمال بسبب البطالة؛ لأن العولمة تقوم على قاعدة: (إنتاج أكثر ما يمكن من السلع والخدمات بأقل ما يمكن من العمال)، وهذا ما يؤدي حتما إلى تفاقم ظاهرة البطالة.

وهذا ما حدث بالفعل في الشركات التي خضعت للخصخصة في مصر، حيث استغنى الرأسماليون الجدد عن عشرات الآلاف من العمال الذين أحيلوا إلى المعاش المبكر. وعلى المستوى العالمي قامت ٥٠٠ شركة عالمية بتسريح ٤٠٠ ألف عامل؛ لكي يربح كل مساهم في هذه الشركات خمسة ملايين دولار، وترتفع اسهمهم بنسبة٩%. وسوف تؤدي ظاهرة البطالة إلى تفشي كثير من الظواهر السلبية، ومنها:

الحقد، وتفكك المجتمع، وانعدام التكافل الاجتماعي؛ بل تهديد السلام الاجتماعي، إنه منطق المنافسة الذي ستفرضه العولمة، إن الرأسمال هنا هو الذي يتحكم، وليست سلطة الدولة التي كانت تقوم في الماضي بعملية التوازن الاجتماعي وعملية المواءمة بين مصلحة العمال ومصلحة الشركات.

وكيف يكون للدولة دور في عصر العولمة وقد انتزعت ملكيتها وانتقلت إلى الخواص وهم ليسوا بالضرورة من أبناء الوطن –إذا لهان الأمر–؛ بل هم ولابد أن يكونوا من أصحاب الرأسمال العالمي الذي لا وطن له، وسوف تتحول الدولة إلى مجرد شرطي يحافظ على الأمن لمصلحة الفاتحين الجدد من الرأسماليين اليهود والأمريكان والأوروبيين.

وهذا ما يستلزم منا تقوية دور الدولة والأمة حتى تقوم الدولة بدورها في الرعاية الاجتماعية، وإلا ستحدث الاضطرابات والثورات الشعبية التي لن ينجو من غضبتها أحد، لا الحكام ولا الرأسماليون.

ولقد قامت مجلة (فورين أفيرز) الدورية الأمريكية بنقد حاد لنظرية العولمة، وحذرت من نشوب ثورة اجتماعية عالمية حيث قالت: "إن النظام الاقتصادي العالمي الجديد يترك وراءه الملايين من العمال الساخطين، ومعدلات خطرة من حالات اللا مساواة، والبطالة، والفقر المستوطن، هذا بالإضافة إلى أن الدولة –الأمة– تتخلى عن مواطنيها في اللحظات التي يحتاجونها فيها كحاجز بينهم وبين عولمة متوحشة".

٣- التحديات الثقافية والحضارية.

الثقافة كلمة شاملة لكل المعارف التي تتعلق بروح الإنسان وعقله وكيانه، من علوم دينية، وفلسفية، واجتماعية، ونفسية، وسلوكية.

أو هي المفهوم الشامل المعبر عن نظرة الفرد للإنسان والكون والإله وللآخرين من حوله ، ولنمط الحياة والسلوك ولعلاقة الدين والدولة والقيم، ولذلك فالثقافة تختلف طبيعتها من حضارة لأخرى، حيث نجد لكل حضارة خصوصيتها الثقافية التي تحدد هويتها سواء من حيث مصدرها ومنبعها، أو من حيث غايتها وهدفها.

ولكن العولمة تريد أن تصهر كل الثقافات الموجودة في ثقافة واحدة، هي:

(الثقافة الغربية أو الثقافة الأمريكية) التي تعني العولمة عندها فرض منظومتها الثقافية والحضارية ، وجعل النموذج الأمريكي هو النموذج العالمي، وهذا ما يعني إذابة الهوية الحضارية للشعوب الأخرى، مستغلة في ذلك التقدم التكنولوجي في مجال الاتصالات وما ترسله إلينا عبر الفضائيات من سيل جارف من المواد الاعلامية.

وتمثل العولمة الثقافية خطرا على الثقافة الإنسانية عموما، فالحضارات الإنسانية لم تتطور إلا بفعل تنوع الثقافات ، ولذلك حينما تريد مجموعة معينة من البشر أن تفرض ثقافتها على سائر الأمم الإنسانية؛ فأنها بذلك تريد أن تجعل من بقية الشعوب أشباه آدميين، وهذا ما يتناقض مع خصائص الإنسان كمفكر وكمبدع، فلا يمكن أن تكون العولمة بديلا عن الخصوصية الحضارية.

إلا أن المشاهد اليوم أن عولمة وسائل الإعلام تسير في اتجاه تفريغ العالم من الهوية الوطنية والقومية والدينية، ونأخذ على ذلك بعض الأمثلة البسيطة، فمن المعلوم أن اللغة تعد من أهم أسس الحفاظ على الهوية والقومية، ويوجد في العالم اليوم ٦٠٠٠ لغة ولكننا نلاحظ أن ٩٠% من برامج الإنترنت تبث بالإنجليزية، وهذا يحمل معه خطورة تهميش اللغات الأخرى وخصوصا اللغة العربية.

ومثال آخر مما يبث عبر شبكات التلفزة الأجنبية من أفلام جنسية ، ومواد إعلامية تروج للفاحشة والرذيلة، فإنه يشكل خطرا على الدين باعتباره العنصر الأساسي في البناء القومي.

تلك هي أهم التحديات التي تواجه العالم اليوم من نظرية العولمة التي تريدها أمريكا ومعها الغرب النصراني، ويدعو إليها أناس من أبنائنا فقدوا أي انتماء للعروبة أو الإسلام.

(٥) مواجهة خطر العولمة

ويمكن للعالم الإسلامي أن يواجه خطر العولمة من خلال حملة إسلامية شاملة متكاملة، عبر مخطط حضاري معاصر، تشترك فيها جميع الدول الإسلامية، ومؤسساتها الرسمية، والشعبية والجمعيات والأحزاب جميعاً؛ لأن مواجهة العولمة من الخطورة بحيث يجب أن نتعامل معها من مراكز قوية تدلل على وحدة الأمة، وقوتها وتكاملها وأهدافها النبيلة لخيرها وخير البشرية جميعًا.

ويمكن للمسلمين مواجهة خطر العولمة بتحقيق الآتي:

١- التمسك بالشريعة الإسلامية التي ارتضاها الله تعالى لنا، فوفقها ننظم حياتنا، ونربي أجيالنا، ونتبصر بحقائق الحياة.

إن مجرد كوننا مسلمين جغرافيين لا يكفي لإنجاز وعد الله لنا بالنصر في مواجهة أخطار العولمة، لأنّ الله سبحانه وتعالى يقول: (إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) سورة محمد:٧، فهل نحن نصرنا الله تعالى فيما أمر به ونهى عنه؟

٢- تبني المنهج الشمولي في فهم الإسلام الذي يجمع بين العقيدة والشريعة والسلوك والحركة والبناء الحضاري، وفق منهج واعٍ ، أصولي سليم يعتمد فقط على العلم والعقل. وهذا يتطلب تغيير حياتنا منطلقين من قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ(الرعد:١١).

٣- تغيير طبيعة النظام السياسي السائد في العالم الإسلام، من الاستبداد إلى الشورى، ومن مصادرة الرأي إلى الحرية في الرأي والمعارضة ومن مصالح الأفراد والأسر الحاكمة إلى مصالح الأمة.

٤- تحقيق الوحدة الشاملة في العالم العربي والإسلامي؛ أي وحدة الأمّة التي تتحقق بوحدة العقول، والقلوب والعواطف الإيمانية، والمصالح والأهداف، والتضامن الكامل في إطار جامعة إسلامية واحدة أو في إطار المؤتمر الإسلامي الحالي، والذي تتولد منه قوة سياسة ومعنوية واحدة على أساس وحدة الأمة الواحدة، والمصير المشترك.

٥- وفي المجال الاقتصادي يمكن للعالم الإسلامي أن يواجه خطر العولمة بتحقيق السوق الإسلامية المشتركة. وتقوية المؤسسات العربية المنبثقة عن الجامعة العربية، ومؤتمر القمة الإسلامي، لأنّه يمتلك مخزوناً جباراً من رؤوس الأموال ومن الثروات الحيوية والمعدنية، بالإضافة إلى التلاحم الجغرافي، والتكامل في الموارد، ولهذا لو

قامت تجارة فعلية بين العالم الإسلامي لأمكننا الاستغناء عن العالم الخارجي-على الأقل -في الاحتياجات الاستراتيجية، هذا على المستوى الخارجي.

٦- وفي المجال الاقتصادي أيضاً لا بد من وجود التكافل الاجتماعي في المجتمع الإسلامي، لأنّه هو الذي ينتهي إلى التوازن. ولابدّ من تكافؤ الفرص أمام الجميع، وعدم تعطيل الطاقات الإنسانية.. وتغليب الاتجاه الجماعي في الاقتصاد الإسلامي، لتغليب مصالح الأكثرية الفقيرة الكادحة. والتأكيد على حرمة كنز الأموال وحبس الثروات، إذ لابد من توظيفها لأداء وظيفتها الاجتماعية .كما أنّ الدولة لها الحق في التدخل في الحياة الاقتصادية، كلّما رأت الضرورة في تحقيق مصالح العباد. واعتبار أنّ العمل هو المعيار الأساسي، وهو نابع من فكرة الاستخلاف، ويلتزم المجتمع بإيجاد عمل لكل قادر. ولابد من المحافظة على رأس المال وإنمائه، وعدم إضاعته.

يقول الاقتصادي الفرنسي جاك أوستروي: "إنّ طريق الإنماء الاقتصادي ليس مقصوراً على المذهبين المعروفين "الرأسمالي والاشتراكي"؛ بل هنالك مذهب اقتصادي ثالث راجح، وهو المذهب الاقتصادي الإسلامي، ويقول: "إنّ هذا المذهب سيسود عالم المستقبل؛ لأنّه أسلوب كامل للحياة".

٧- سعي الشعوب المسلمة، وقياداتها العلمية والدعوية إلى تحصين الثوابت العقائدية التي قامت عليها هذه الأمة .

٨- دراسة السّنن الكونية دراسة علمية موضوعية، وتسخير هذه السّنن في الكون والحياة - للدخول إلى العصر الحضاري الإسلامي الجديد -وفق الفهم الصحيح لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم- والاستفادة منها في تسخير إمكانات العالم الإسلامي المادية والمعنوية وثرواته المتنوعة الهائلة، كي نحدث تنمية حضارية واجتماعية شاملة تحفظ علينا شخصيتنا المعنوية المتميزة وكياننا المادي المستقل.

٩- محاربة مظاهر البدع والخرافات، والتبعية، والتواكلية ، التي أخرّت تقدّم الأمّة ونهضتها عبر العصور الأخيرة.

١٠-الردّ على الغزو الثقافي للعولمة الأمريكية الصهيونية من خلال الفكر الإسلامي، وفق المنهج العلمي السليم، بجميع الوسائل التي يعتمد عليها من خلال كافة الجوانب الفكرية والفنية والأدبية التي يعرضونها من خلال أفكارهم المناقضة للإسلام.

ونقترح في هذا المجال إيجاد أكثر من قناة فضائية تبث برامجها المخصصة لمواجهة تيار العولمة، بمختلف لغات المسلمين.

١١- الاهتمام بتربية الأسرة المسلمة وتثقيف أفرادها وتوعيتهم، وتوجيههم من خلال أجهزة الدولة المختلفة. ومن خلال الوسائل والبرامج التي تشترك جميعاً في تكوين أجيال تشعر بانتمائها الإسلامي، وانتسابها الحضاري للأمة العربية والإسلامية. إنّها التربية الإسلامية التي تهدف إلى صياغة الفرد صياغة إسلامية حضارية، وإعداد شخصيته إعداداً كاملاً من حيث العقيدة، والأخلاق والقيم، والمشاعر والذوق، والفكر، والمادة حتى تتكوّن الأمّة الواحدة المتحضرة التي لا تبقى فيها ثغرة تتسلل منها إغراءات العولمة اللادينية الجنسية الإباحية.

١٢-إقامة المجتمعات الإسلامية على القاعدة الإيمانية التي تجمع بين المسلمين جميعا دو الالتفات إلى اختلاف اللغة، أو اللون، أو العرق.

ومعاملة أهل الأديان جميعا وفق القاعدة التالية: ((لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين)).

والتي تحقيق العدالة المطلقة للجميع، إلا فيما يخص القضايا التشريعية الخاصة بأهل كل دين، فالبشر جميعا كرامتهم مصانة في إطار المجتمع الإنساني.

تم بحمد الله